لكل قمر حكاية
رواية
علياء عصام دويدار

لكل قمر حكاية

بقلم /علياء عصام دويدار

إهداء

إلى أغاني فيروز صباحا .....

إلى فنجان القهوة الساخن شتاءً....

إلى شواطئ الإسكندرية الساحرة....

وأخيرًا إلى كل نغمة موسيقية قادرة على أن تنسينا أوجاعنا.

عندما تقابل شخصا ما لا تبحث فيه عن الحب
بل ابحث عن الجزء اليابس بداخله و ارويه فإذا
رحلت تكون قد تركت أثرا طيبا بداخله .....
أثرا لا تمحيه السنين ولن تطمثه الأيام.

«القمر الأول»

يوم جديد على شواطيءالإسكندرية البحر هاديء السماء صافية, جو لا يتناسب أبدًا مع منتصف فصل الشتاء

,وعلي سرير المشفى يجلس بوجهه الشاحب وجسده الضئيل محاولة جديدة تنضم إلى لائحة محاولاته الفاشلة للإنتحار.

:تاني يا خالد حرام عليك نفسك ..... لا رد ..... دي المحاولة الرابعة ليك في شهر واحد .

قالها أكرم صديقه بنفاذ صبره.

لقد مل من محاولات صديقه المتكررة للإنتحار ومل هو من إنقاذه في كل مرة باللحظات الأخيرة

:بس ايه رأيك مش بذمتك بنوع في كل مرة.

قالها خالد مرارة لا تخلو من السخرية .

:لا يا شيخ بذمتك ليك نفس تهزر ده أنت جاي المرة دي عامل كارثة أنا لحقتك على آخر لحظة يا خالد أنت فاهم يعني ايه.....

:وليه تلحقني كنت سيب الحبل يلف حولين رقبتي وأخلص عايز أروحلها بقى..... وحشتني يا أكرم.

:وأنت فاكر إنك بكده كنت هتشوفها ..... كفاية بقى يا خالد ادعلها بالرحمة بدل اللي بتعمله ده.

:تعرف يا أكرم من ساعة ما ماتت وهي مجتش ليا في الحلم ولا مرة أكيد مش قادرة تسامحني.

:تسامحك على ايه بس !

قالها أكرم بنفاذ صبر.

ليشتعل وجه خالد غاضبا عندما تذكر ذلك اليوم المشؤوم.

: شكلك نسيت يا أكرم .... تحب أفكرك مين اللي منعني وقتها أدخل أوضة العمليات؟

:أنت مكنتش شايف نفسك يومها كنت عامل ازاي يا دكتور.

:كنت هقدر أنقذها....

:أنت بتضحك على مين .... ده قدرها عمرها اللي ربنا كاتبه ليها انتهى في اليوم ده ... فوق يا خالد أنت بتضيع عمرك كله في أوهام .

:اطلع برا يا أكرم.

:يا خالد أنا.....

:اطلع برا.

دار خالد وجهه إلى الجهة الأخرى إشارة منه أن الحوار قد انتهى....

خشى أكرم أن يحاول خالد الإنتحار مرة أخرى....

لذا طلب من إحدى الممرضات أن تمر عليه كل فتره لتطمئن على حالته.

***

بكندا وتحديدا بمدينة (أونتاريو) تقف ريما بغرفتها تضع آخر أغراضها داخل حقيبة السفر الضخمة دخلت عليها والدتها بحزن

:خلاص خلصتي؟

:أيوا خلاص الطيارة فاضل عليها ساعتين.

:خلي بالك من نفسك يا ريما طمنيني عليكي كل ساعة ...لا خليها كل دقيقة.

ابتسمت ريما بحب.....

:حاضر يا ماما متخافيش وبعدين هي دي أول مرة أنزل مصر!

:الأول كنتي بتنزلي فسحة كده وترجعي لكن المرة دي ناوية تستقري .... اشمعنا المرة دي بس....

:يعني أنا هنا بعمل ايه على الأقل هناك هفتح مرسم بابا واشتغل في الحاجة اللي بحبها.

:خلي بالك على نفسك يا ريما....

:متقلقيش عليا .... وبعدين فين الواد عابد هو مش ناوي يوصلني ولا ايه؟!

أتاها صوت شقيقها من الخلف.

:نحن هنا .... مين جايب في سيرتي!

:يلا يا بيه الطيارة هتفوتني.

همت لترحل ليوقفها صوت والدتها.

:استني يا ريما ...خدي دي...

مدت والدتها يدها بكوفية صوف زرقاء من صنع يدها,التقطتها ريما بسعادة وانقضت عليها بوابل من الأحضان والقبلات.

:حبيبتي يا ماما تسلم إيدك.

:متنسيش تكلميني لما توصلي.

:حاضر.

:والبسي تقيل الجو دلوقتي في إسكندرية برد وكلميني كل يوم وكلي كويس ومتخرجيش بليل لوحدك ومتتكلميش مع حد.

: وأغسل أسناني وأشرب اللبن قبل ما أنام .....سلام.

قالتها ريما وهي تجر أخيها خلفها؛ ليهربان سريعا من تلك الخطبة الطويلة من النصائح التي لن تنتهي.

***

:يعني ايه مش موجود أنا قولت عينك عليه طول الوقت.

:والله يا دكتور أكرم أنا سيبت الأوضة ثانيتين بس أمر على مريض تاني رجعت لاقيته اختفى!

وضع أكرم يده على شعره محاولة منه لتهدئة نفسه وهو يهتف بغضب

: اختفي من وشي دلوقتي.

ركضت تلك المسكينة من أمامه سريعا قبل أن يصب غضبه كله بوجهها.

***

:أخيرا هنرتاح منك.

: يا ابني ده أنت هتفقد روح البهجة في حياتك لما أسافر.

:البهجة آاااااه ..... هههههه خلي بالك من نفسك وكلمينا على طول.

: وأنت متنساش تسلملي على تولين.

أومأ برأسه بإيجاب مع ابتسامة صغيرة يداري بها خيبة أمله ثم تابع....

: يلا بسرعة الطيارة هتفوتك.

اتجهت سريعا إلى الداخل ثم وقفت و التفتت إليه لتلوح له بيدها ثم ارسلت له قبلة سريعة في الهواء ليرسل لها هو الآخر..

ابتسم على تصرفاتها الطفولية رغم سنها الذي تجاوز ٢٥ عاما, وهو الذي يصغرها بعامين فقط لكن قامتها القصيرة وشعرها البني الطويل مع عينيها الزرقاء الواسعة,يعطيها سن الفتاة المراهقة ذات ١٩عام.

ظل يتابع أثرها وهي ترحل عنه حتى غابت عن عينيه ثم غادر المطار باطمئنان.

***

بمنزله البائس الحزين الخالي من الحياة يقف أمام صورتها بحزن لم يكف عن البكاء منذ أن عاد إلي منزله بعد أن خرج من المشفى دون علم أحد

ماذا كان يعتقد أكرم؟؟

حتى إذا وضع له مئة حارس على الباب لن يمنعه أحد من الخروج.

جلس على أقرب كرسي بجانبه وبيده صورتها التي بزاويتها شريطة سوداء جميلة كما كانت دائما بشعرها الأسود الطويل كالحرير وعيونها البنية الواسعة كعيون الريم مع رموشها الطويلة وقامتها القصيرة التي كانت دائما سببا في إغاظتها منه عندما يخبرها أنها كالأقزام ويخشى أن يدعسها أحد وهو لا يراها.

:آسف .... والله آسف كان غصب عني .....كل اللي حصل كان غصب عني حاولت أدخلك ساعتها, بس كلهم منعوني حاولت أنقذك محدش اداني فرصة قالوا إني كنت في حالة عصبية, لو كنت دخلت مكنتش هقدر أعمل حاجة.

صمت لثواني وهو يضحك بسخرية ثم وقف ينظر إلى اللاشيء ليرد

: ميعرفوش إن دي كانت أكتر لحظة هقدر إني أتصرف فيها؛لإن اللي قدامي كانت حياتي اللي مش هسمح ليها تروح مني, كنت مستعد أعمل أي حاجة عشان تعيشي مكنش هممني الطفل ولا إنه يروح, كل اللي كان يهمني هو أنتي وبس يا (ندى) تعرفي بعد ما سبتيني مقدرتش أعيش في شقتنا مقدرتش أستحمل أني أصحى كل يوم وأنتي مش جنبي, كنت فاكر إني لما أسبها وأسكن في واحدة تانية هنسى بس أنا عمري ما نسيت .... أنا آسف آسف آسف.

ظل على هذه الحالة ينظر إلى صورتها ويعتذر حتى راح في نوم عميق على الأريكة وصورتها بيده ودموعه على وجنتيه.

***

كعادتها دائما تضع سماعاتها وتستمع إلى جارة القمر (فيروز),و تذكرت كوفية والدتها الزرقاء التقطتها لتضعها حول رقبتها كي يغمرها؛بعض الدفء والأمان ولكنها اكتشفت أن الكوفية قصيرة للغاية...

لتحدث نفسها بضيق«هو أنا يعني عشان قصيرة شويتين يا ماما تقومي عامله الكوفية كمان قصيرة»

يبدو أن والدتها قامت بعملها سريعا قبل أن تسافر فلم تستغرق الوقت المناسب للإنتهاء منها على الرغم من ذلك فقد وضعتها حول رقبتها و

أراحت رأسها على الكرسي وغمضت عينيها وهي تسرح في أحلامها مع صوت جارة القمر.

***

:وحشتني يا جميل.

قالها ذلك المدعو فتحي

الفتى المدمن الذي يخشاه الجميع بوجهه المشوه, بتلك الندوب التي تدل على أن حياته مليئة بالمشاجرات والعنف.

:أنت هتستعبط يا فتحي أنت مش قولت هتيجي تطلبني من أمي ولا أنت بتلعب بيا؟!

:يادي الفصلان يا بت يا كريمة أنا مش قولتلك لما أخلص المصلحة اللي في أيدي ولا هو نكد وخلاص...

:نفس الكلمتين بتوع كل مرة هو يا أخويا المصلحة دي مبتخلصش !

:كريمة أنا ضارب حتة عالية أوي مش عايزها تروح لو عندك كلمة عدلة قوليها مش عندك يبقى امشي.

:كده يا فتحي ماشي بس يكون في علمك أنت مش هتشوف وشي تاني.

:يبقى أحسن...

قالها بلا مبالاة لترحل هي من تلك الغرفة الوحيدة والصغيرة فوق سطح ذلك البيت القديم وهي تلتفت حولها تخشى أن يراها أحد.

***

يطرق الباب بعنف حتى كاد ينكسر.

بالفعل كان على وشك كسره على رأس صديقه الأحمق هذا.

يخشى أن يكون قد كرر محاولة الإنتحار مرة أخرى حقا لقد طفح الكيل لينفتح الباب فجأة!

ويظهر خالد من خلفه وهو يقف ببرود...

لينفعل أكرم عليه فيسدد له لكمة قوية وهو يصرخ به.

: والله أنا لو قتلتك محدش هيقولي عملت كده ليه !

ليقابله خالد ببرود وهو يتحسس مكان تلك اللكمة بجانب فمه.

: ولا أنا كمان هقولك بتعمل كده ليه يلا أنا قدامك أهو....

امتص أكرم كل الغضب داخله بصعوبة ليرد بهدوء

: خالد قوم البس وتعالي نخرج.

:سيبني في حالي يا أكرم أنا كويس...

: مش هخرج من هنا غير وأنت في أيدي (عم حليم) بيسأل عليك بقالو مدة يا أخي..... بذمتك موحشكش؟

:سيبني في حالي يا أكرم الله يخليك.

قالها خالد بحزن وهو يقف ويتجه لغرفته ليلحق به أكرم سريعا....

:ولاااا..... أنا خلقي ضيق وأنت عارفني كويس يلا قدامي بدل ما تاخد بوكس تاني يجيب أجلك ونخلص منك وأحققلك أمنيتك امشي قدامي..

قالها أكرم بحزم وهو يجر خالد معه للخارج عنوة.

على الرغم من محاولات خالد للإعتراض لكن أكرم لم يغيره أي اهتمام...

***

تجلس كحورية البحر علي سرير المشفى بحزن لكن للأسف حورية تعيش بعالمها المظلم.

شعرها الذهبي الطويل مفرود جانبها على الوسادة كالأميرات, عيناها العسليتان المطفيتان تملأهما الدموع

حورية حقا اسم على مسمى.

:حضرتك عايزه حاجة؟

قالتها إحدى الممرضات التي أتت بعد سماع صوت الجرس.

:هو دكتور أكرم لسه مجاش؟

: لا لسه .... زمانه جاي عايزه حاجة أنا أعملهالك؟

:لا شكرا.

رحلت الممرضة سريعا كما جاءت وعلى وجهها ابتسامة خبيثة لتقابلها ممرضة أخرى لتبدأ معها جلسة النميمة المعتادة....

:مبطلتش سؤال عليه..

: ومن الحب ما قتل...

: وهو دكتور أكرم القمر الطول بعرض وعيون عسلي ده هيبص لواحده عامية!

: عامية بس قمر شعر أصفر وعيون عسلي.

:عيونها شكل وخلاص هيعمل بيها ايه وهي مطفية.

: الإنسان مش بشكله ولا عينه يا هدى الإنسان يتحب لما قلبه يكون طيب ونضيف....

: وايه كمان يا حنينة؟

: صدقيني..... ده ربنا قال "فإنَّهُ لا تَعْمَى الأبصار ولكن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور"

:طب اسكتي بقا المدير جاي علينا.

***

: كنتي فين يا أخرة صبري؟

: فيه ايه يا أما على الصبح

: ردي عليا يا بت كنتي فين

: كنت عند البت ورد بجيب البضاعة الجديدة

: فكراني هبلة يا بت كنتي عنده صح؟

:هو مين ده!

: الشمام اللي واكل عقلك

:فتحي مش شمام يا أما

قالتها كريمة بغضب لتصرخ أمها بوجهها....

:يعني كنتي عنده؟!

لم تعير والدتها أي اهتمام لتدير لها وجهها وترحل...

: استني هنا .....اسمعي يا بت أنا مش هسيب حتة واد مدمن زي ده يلعب بيكي من بكرا هتنزلي معايا الشغل

: شغل .... شغل ايه؟

:ست ريما رجعت مصر

:احنا مش كنا خلصنا من خدمة البيوت عايزه ترجعلها تاني ليه؟

:ست ريما مش زي العالم التانية دول ده غير إن أبوها الله يرحمه كان راجل يتحط على الجرح يطيب.

:اللي تشوفيه يا أما أنا داخله أريح شوية.

رحلت من أمامها لتتنهد أمها بحسرة على حال أبنتها....

***

مر الوقت وزار الليل شواطيء الإسكندرية وعلى تلك المقهى ذو الرونق الخاص التي تجمع بين الذوقين اليوناني والأوروبي مقاعد تشبه ترام الرمل تجمع جميع حوائطها لوحات لرسامين عالميين حتى ولو كانت غير أصلية.

يجلس جميع من بالمقهى يتابع المنافسة الجديدة في لعبة الشطرنج بين (عم حليم)الرجل البشوش الذي تخطى حاجز الستين ومثل أي رجل بذلك العمر أفنى عمره كله لعمله وبيته ظل يعمل حتى زوج جميع أبناءه وظل بمفرده هو وزوجته العجوز حتى أحيل على المعاش ليصبح ذلك المقهى هو تسليته الوحيدة.

كانت المباراة تشتد بينه وبين خالد الطبيب الجراح المحترف بلعبة الشطرنج.

:ايه يا واد يا خالد شكلك نسيت اللعب ولا ايه

لم يسمح خالد لأي أحد أن يذكره بلقب غير دكتور ولكن لعم حليم مكانة خاصة بقلب جميع سكان مدينة الإسكندرية بأكملها.

:معلش يا عم حليم بقى بقالي فترة ملعبتش...

: دي حجة البليد يا ولا .....العب العب شكلك كبرت وعجزت

استمر اللعب لمدة ربع ساعة انتهت بفوز عم حليم ليهلل الجميع لكن وحده عم حليم يعلم أنه عندما يفوز من خالد إذن فهناك أمر خطير به انصرف الجميع وبقى أكرم وخالد وعم حليم تنهد خالد تنهيدة طويلة أخرج معها كل ألمه.

نظر كلا من عم حليم وأكرم إلى بعضهما البعض بحزن ساد الصمت بهما لحظات حتى قطعه عم حليم

:تعرف يا خالد "زمان كان فيه شاب صغير حليوه كده زيك,كان نفسه ومنى عينه يتطوع في الجيش وليل نهار يدعي ربنا أنه يكتب له الخير, لحد ما في يوم كان فاضله ٣ أيام على أنه يروح يقدم,يقوم يحصل ايه بقى يجي صاحبنا ده يسلك في خناقة بين اتنين يتقطع فيها صباعه طبعا كده مش هيعرف يمسك المسدس ويترفض فضل طول اليوم يصرخ وليه يارب ده أنا دعيت ليه يحصل كده! لحد ما جت بعدها بفترة مصر تدخل حرب ويموت الآلاف من العساكر والظباط ,وأصحابه كلهم اللي اتقبلوا اللي مات واللي اختفى وهكذا ..... صحيح أن الشهادة عند ربنا أحسن بكتير لكن إلي قصدي اقوله هو اللي كان زعلان على حتة صباع ربنا فدا بيه حياته كلها" .... باختصار يا ابني متزعلش علي اللي راح يمكن ربنا كاتبلك الخير في اللي جاي ادعلها بالرحمة يا ابني واقرأ لها الفاتحة أحسن بكتير من قعدتك في البيت وأنت قافل على نفسك وسايب عمرك يضيع منك اللي بتعمله ده مش هيرجعها...

أغشت الدموع عين خالد ليتحدث بمرار

:تعرف إني ولا مرة روحت زورتها!

: وليه كل ده

: يمكن خايف أو مش قادر...

:لو مش قادر ده طبيعي بس ليه خايف؟!

: خايف من الإحساس اللي هحسه لما أشوفها تحت التراب,أنا بموت في اليوم مية مرة وأنا حاسس إني السبب في موتها...

:لا يا خالد لا أنت السبب ولا احنا السبب ده أجلها قدرها اللي مكتوب إنها تموت في الوقت ده وهي حامل .... ليه تحمل نفسك وتحملنا ذنب ملناش علاقة بيه..

صرخ به أكرم...

شعر عم حليم بأن الحوار ربما يشتد فحاول تلطيف الأجواء

:أنت بتعلي صوتك وأنا موجود يا واد يا أكرم طب تعالى بقى لاعبني دور ووريني شطارتك يا حلو...

استمروا بالحديث واللعب حتى اقترب آذان الفجر ليرحل الجميع,

ليصر أكرم على توصيل خالد حتى باب المنزل ليطمئن عليه.

***

بعد عدة ساعات قضتها بالطائرة وأخرى قضتها بالطريق من المطار إلى الإسكندرية وصلت أخيرا أمام العمارة.

هبطت من السيارة الأجرة ساعدها السائق في نزول الحقائب ورحل,وقفت أمام العمارة تتأملها لثواني تتذكر والدها وطفولتها نصف عمرها بالكامل قضته هنا على شواطيء الإسكندرية, تحسست تلك القلادة المعلقة حول عنقها منذ صغرها على الرغم من أنها أصبحت صغيرة عليها إلا أنها لم تخلعها أبدا؛ فهي الذكرى الوحيدة لها من والدها تحسست حجر الفيروز الأزرق المعلق بها كلون عينيها تستمد منه الآمان أو بالأصح من والدها.

حملت الحقائب وصعدت إلى الدور الثالث ما أن وقفت أما باب منزلها, حتى شعرت بدوار خفيف استندت على الحائط لدقائق لم تنتبه بهم ,وأن كوفية والدتها قد سقطت من على رقبتها استعادت توازنها أخيرا وجمعت حقائبها واتجهت للداخل.

تأملت المنزل بحنين لاحظت نظافته الشديدة على الرغم من أن الشقة مغلقة من زمن,

حسنا يبدو أن أم كريمة قد أدت عملها على أكمل وجه.

لم تفرغ حتى حقائبها أو تغير ملابسها فقد ألقت بنفسها على السرير وراحت في نوم عميق من التعب بسبب طول الرحلة.

***

: يا ابني سيبني بقى هو أنا عيل صغير مش عارف اطلع بيتي,

:لا يا حبيبي أنت مش عيل صغير بس أنا كل أما اسيبك بتجيلي بكارثة...

وقف الأثنان أمام باب الشقة ليلمح خالد تلك الكوفية الزرقاء أمام الباب...

:ايه ده بتاعت مين دي!

: مش بتاعتك؟

: لا

: يمكن وقعت من حد

:يمكن

لم يعيرها خالد اهتمام ليدخل الشقة وخلفه أكرم ويلقيها على أقرب مقعد,

: اديني وصلت أهو ممكن بقى تتكل على الله عايز أنام,

: طب ما ننام أنا وأنت سوى يا خلودي يا حبيبي...

قالها أكرم بصوت أنثوي...

:في ايه يا أكرم أنت قلبت ..... استغفر الله العظيم يا أخي,

: هههههههههه ..... لا بس ايه رأيك فيا وأنا متدلع أجنن صح؟

: تقرف

:توشكر يا ذوق يلا أنا ماشي تصبح علي خير..

: وأنت من أهله يا سيدي...

رحل أكرم وبقي خالد بمفرده يتذكر كلمات عم حليم حتى راح في نوم عميق ولأول مرة منذ يوم رحيلها الذي مر عليه عده أشهر تزوره بمنامه.

***

شمس يوم جديد على شواطيء الإسكندرية البرد قارس اليوم السماء تشير إلى أنها على وشك أن تمطر,

استيقظت أخيرا من نومها العميق شعرت ببرودة شديدة جاءت لتفتح النافذة تود أن ترى منظر البحر الآن,

يا ألهي يبدو أنها ستمطر,

حسنا لنؤجل فتح المرسم للغد,

تذكرت والدتها لتفتح هاتفها وتتحدث معها عبر موقع التواصل الإجتماعي فيس بوك..

:ماما وحشتيني جدا

:ريما حبيبتي أنتي كويسة طمنيني عليكي؟

:أنا بخير متقلقيش ولسه صاحية كمان,

:حبيبتي أوعي تنسي تلبسي تقيل الجو عندك برد في اسكندرية,

:حاضر متقلقيش..... هو عابد فين ؟

: شكله لسه نايم,

: سلميلي عليه كتير وقوليله إني هتصل تاني,

:حاضر يا حبيبتي .....هتفتحي المرسم النهاردة؟

:الجو هنا شكله هيمطر هأجله لبكرا,

:ربنا معاكي يا حبيبتي,

:يارب يا ماما يلا بقى سلاااام,

:سلام.

أغلقت معها الخط واتجهت لتستمع إلى جارةة القمر مرة أخرى, ولكن تلك المرة قامت برفع الصوت إلى أقصى درجة ليملأ صوت فيروز العذب

الشقة بأكملها, ثم اتجهت لعمل فنجان القهوة المانو المفضل لديها عند الصباح.

صباح ومسا

شي ما بينتسى

تركت الحب

أخدت الأسى

***

﴿القمر الثانـي﴾

يسير داخل المشفى بثقته المعتادة لتناديه الممرضة بخبث..

:دكتور أكرم ... دكتور أكرم

: أيوا؟!

:المريضة اللي في غرفة رقم ١١٣ سألت عليك كتير أوي امبارح

: حورية مالها تعبانة؟؟

:مش عارفة شكلها كده

تركها وركض سريعا نحو غرفتها

ابتسمت الممرضة بخبث وهي تعود لعملها

اتجه للداخل ليجدها نائمة في هدوء

يا إلهي كم هي جميلة حتى في نومها

لالا ليست جميلة بل ساحرة كنسمة صيف مرت على قلبه لتعصف به...

حورية ..... حورية البحر كما أطلق عليها هو

عيناها مهلكتان رغم ظلامهما

شعرها كسلاسل الذهب التف حولي ليجذبني نحوها كالمجذوب

روحها بريئة لم يلوثها غدر الأيام

ظل يتطلع لها بحب ليقترب منها ويزيح خصلات شعرها من على عينيها

ظل ينظر لها بحب

أكرم طبيب العيون المعروف بشخصيته الحادة القوية, أتت تلك الحورية لتقلب حياتي رأسا على عقب

ليحدث نفسه بخفوت...

«على قد ما أنا حاسس أنك قريبة مني لكن للأسف أنتي بعيدة أوي.... أوي يا حورية»

شعرت بذلك الهمس عند أذنها لتفتح عينيها ببطء..

أول شيء أدركته هو رائحته بالطبع تعرفها عن ظهر قلب لتبتسم بهدوء...

ليرجع هو بظهره للوراء

:دكتور أكرم

: بحسك بتقفشيني زي الحرامية

ضحكت بسعادة لعلمها بوجوده الآن وبالقرب منها فوجوده بالنسبة لها يشعرها بالأمان الذي افتقدته مؤخرا ليردف هو

:أنا هغير نوع البرفان

:برضه هعرفك

قالتها بثقة ليتعجب هو

: ازاى بقى!

:مش بيقولوا القلب بيشوف قبل العين

:طب ويا ترى قلبك قالك ايه عليا

:بيقولك بلاش اعمل العملية دي

:تاني؟!

: أرجوك ... أنا خلاص اتعودت ازاى أعيش من غيرهم

:أنتي مش بتثقي فيا؟

:أكيد

: يبقى تسمعي الكلام

:أيوا يا حبيبتي اسمعي كلامه

جاءهم ذاك الصوت من خلفهم ليلتفت الاثنان لمصدره

ليتفاجأ الاثنان بوجود سامح الذي توترت حورية عند سماع صوته ليردف هو...

:اسمعي كلامه يا حبيبتي الدكتور عايز مصلحتك

:طب استأذن أنا عن إذنكم

قالها أكرم بضيق ثم خرج سريعا وعينه لم ترحل من عليها

خرج وهو يشعر أن روحه مازالت بغرفتها....

***

اللعنة على ذلك الأحمق الذي يوقظني من أجمل نومة أنامها من فترة طويلة أخيرا زارتني بمنامي

ولأول مره كانت جميلة وساحرة كعادتها

كنت أظن أنها جاءت لتعاتبني لكن لا .....يبدو أنها جاءت لتخبرني أنها بخير

استيقظ في ضيق ليرى من ذلك الأحمق الذي يرفع صوت الأغاني هكذا

نظر بساعته ليجدها السابعة صباحا

تتبع صوت الأغاني ليجد أنها قادمة من نافذة المطبخ

لم يكن يعلم أن أحدهم يسكن تلك الشقة كان يظن أنها فارغة

يبدو أنه ساكن جديد وسوف يبدأ في ازعاجه من اليوم الأول

كان سيقوم بالنداء على ذلك المزعج لولا أنها التفتت لكنها لم تراه

ولكن هو رآها

للأسف!!

مستحيل !!

هي!!؟؟

***

: وحشتيني يا حبيبتي

: وأنت كمان

قالتها حورية ببرود

:مالك يا حورية

: أبدا تعبانة شوية

:حبيبتي محدش هيجبرك تعملي حاجة أنتي مش عايزاها ..... لو مش عايزه تعملي العملية خلاص بلاش

:وأنت هترضى تتجوز عامية؟!

:أنا بحبك زي ما أنتي

:بلاش بس تقول الكلمة دى كتير

:كلمة ايه؟

: متاخدش في بالك

: مالك يا حورية

: تعبت يا سامح تعبت من حقي

صرخت بها حورية

:اهدي طيب اهدي خلاص أنا أسف

أصبح سامح يتعجب تصرفاتها في الفترة الأخيرة

منذ ذلك الحادث الذي أفقدها عينيها وقد تغيرت معاملتها معه

لكن مؤخرا ازدادت تصرفاتها غرابة

تلك ليست حورية

حبيبته التي يعرفها أكثر من نفسها

صديقته وحبيبة الطفولة....

دائما ما يبرر أفعالها بسبب حالتها التي أصبحت عليها الآن..... لكنه يشعر أن الأمر قد ازداد سوءا بالأونة الأخيرة

ترى ماذا بكي يا حوريتي الصغيرة؟!

***

اتجهت نحو الباب لتنصرف

:على فين يا بنت بطني؟

تأففت كريمة بضيق

:رايحه أجيب البضاعة من البت ورد ياما

:ولا رايحه للبلطجي بتاعك؟

:ايوووووه عليكي .... لا متخافيش من هنا ورايح مش هشوف وشه تاني

:يا ما شاء الله لتكوني عقلتي وأنا مش واخده بالي!

:هو لا كده عاجب ولا كده عاجب

:لا يا حبيبة أمك عجبني بس مستغربة!

: أنا ماشية عشان ما أخرش

قالتها بضيق ثم انصرفت لتنظر لها أمها بضيق

ما أن هبطت إلى أسفل لتجد يد تسحبها سريعا خلف السلم

كادت أن تصرخ لولا أنه كتم فمها بيده

:الله يخربيتك هتفضحينا

:أنت ايه اللي جابك هنا

قالتها بحدة بعد أن أزاح يده عن فمها

: جاي عشان تسامحيني

: والمرسى أبو العباس أنت اتجننت رسمي ..... مش خايف أمي تشوفك وهي أصلا مش بتطيق سيرتك

:ماشي الله يسامحك

قالها بحزن ليعود قلبها الأحمق للحنين إليه

:طب خلاص متزعلش

استمر في تصنع الحزن لتصدقه هي بكل سذاجة

:ايووه ما خلاص بقى

:مش هسامحك إلا اما أشوفك النهاردة؟

:مش هينفع ومستحيل أمي توافق

: وهي هتعرف منين؟ ..... قوليلها إنك هتعدي علي البت ورد

: إذا كنت أنا أصلا قايللها وأنا نازلة إني رايحه لورد

:خلاص يبقى تيجي معايا دلوقتي وابقي روحي لورد بعدها

ظلت تفكر لثواني حتى رضخ قلبها الأحمق لفكرته لتذهب معه...

***

:لاااا ده أنت خلاص اتجننت رسمي ندى مين يا أهبل أنت اللي عايشه!!

حقا هذا ما كان ينقص صديقه الوصول إلى الجنان الأزلي

لقد أصبح يرى زوجته الراحلة بالواقع!

لا بل أسوء .....يخبره أنها أصبحت جارته وتمكث بالشقة المقابلة له!!

ليردف أكرم وهو يستمع إلى حديثه المختل

: والله وكمان طلعتوا جيران طب دي حاجة حلوة أوي!!

قالها أكرم بسخرية

:أكرم لو فضلت تتكلم بالأسلوب ده أنا هقفل ومش عايز أشوف وشك تاني...

قالها خالد بصرامة ليحاول أكرم تفهم الحالة التي هو عليها الآن

: طيب..... طيب يا خالد اهدى بس كده وفهمني ايه اللي حصل ومين دي اللي ساكنة قدامك؟

قص خالد عليه كل ما حدث منذ أن استيقظ على صوت فيروز حتى رأى تلك الفتاة...

ظن أكرم أن صديقه يتوهم

وأن الأمر ربما يزداد سوءا مع صديقه مما يستدعي عرضه على طبيب نفسي

: طيب بص خليك عندك وأنا هاجي أشوف بنفسي

: أنت مش مصدقني صح؟

حاول أكرم الحديث بهدوء

: لا طبعا مصدقك بس عايز أجي أشوفها بنفسي

: ماشي يا أكرم مستنيك

أغلق خالد الخط ليتجه إلى صورتها بابتسامة فارقت وجهه منذ شهور

: أخيرا رجعتي يا ندى كنت عارف إنك مش هتسيبيني لوحدي...

***

بعد أن غيرت رأيها قررت أن تذهب لفتح المرسم رغم برودة الجو الشديدة, تقف الآن تتأمل المكان بعينين دامعتين وقفت تنظر لتلك اللوحات التي غطاها التراب كل شيء, هنا قد ترك والدها أثر به, اللوحات الألوان حتى اختيار ديكور المكان.

تحسست تلك القلادة مرة أخرى تشعر الآن أن روح والدها تدور حولها,

يا إلهي ذلك الدوار مرة أخرى!!

استندت على أحد الحوائط لثواني حتى استعادت توازنها مرة أخرى,

تأملت تلك الأتربة التي ملأت المكان لا بأس ربما يحتاج إلى الكثير من التنظيف,

وترميم تلك اللوحات والتعديل في بعض الديكورات لتواكب العصر,

لتبدأ في جمع اللوحات التي ستبدأ في ترميمها وإزالة بعض تلك الأتربة عنها, وبالطبع لم تنس أن يشاركها في ذلك صوت فيروز وفنجان القهوة المانو.

***

دقات على الباب ليفتح خالد سريعا

:ادخل بسرعة

: في ايه يا خالد

: تعالى تعالى

جذبه خالد من يده نحو نافذة المطبخ

:بص هو ده الشباك اللي شفتها منه

:أنت متأكد يا ابني أن فيه حد ساكن هنا ..... أنا من ساعة ما جيتلك وأنا مش بشوف حد فيها!

:قصدك أنها عفريت؟!

:أو إنك بتتوهم؟

: بتوهم!!

: خالد أنت لازم تروح لدكتور نفسي

:قصدك أني اتجننت؟

:عيب يا دكتور أنت اللي تقول كده ..... دكتور خالد الجراح الكبيرأكيد عارف يعني ايه علاج نفسي

ساد الصمت ثواني نظر فيها خالد إلى صورة زوجته,

ليكسر ذلك الصمت وهو يتحدث بصوته المبحوح,

:أهو الجراح الكبير ده معرفش ينقذ مراته وهي حامل من الموت .... كل ده بسبب رفض الدكاترة إني أدخل أعملها العملية عشان كنت في حالة عصبية

: خلينا نفكر بالعقل يا خالد افرض كنا سبناك تدخل وقتها, و ندى ربنا كاتبلها أنها تسيبك في الوقت ده يا ترى كنت هتمنع أنها تموت ..... استغفر ربنا يا خالد وارجع شغلك ..... بص لنفسك في المرايا, ده خالد؟ ايه شعرك ده وايه الدقن دي كلها؟!

نظر خالد إلى هيئته بضيق...

يا إلهي من هذا؟ ..... قديما كان يهتم بمظهره وهيئته الرياضية,

شعره وذقنه كانا دائما مهندمين مع بشرته السمراء وعينيه السوداء,

لكن الآن أين ذهب كل ذلك؟

: هحاول يا أكرم هحاول

: أنا هرجع المستشفى وهتكلم مع المدير إنك ترجع وأنت حاول تظبط نفسك كده لازم ترجع خالد بتاع زمان, اتفقنا؟

كان يتحدث أكرم بجدية ليلمح بعدها شيء غريب, يلمع تحت الطاولة

جذب انتباهه ليقترب منها لتتسع عيناه بصدمة!

:يشيلك ويحط عليك يا بعيد ..... خمرة يا خالد! .... من أمتى يا بيه؟

زاغت عين خالد في جميع أركان الشقة في محاولة للهروب, ليقترب منه أكرم ويجذبه من تلابيب ملابسه بغضب

:انطق يلا

نظر خالد لعين أكرم يعلم تلك النظرة جيدا...

عشر سنوات من الصداقة كفيلة لفهم كل منهما للآخر

تحول أكرم من الطبيب المحترم إلى أكرم الأحمق المتهور في غضبه,

لن يتفاجيء إذا حطم أكرم صف أسنانه السفلية الآن

:مم..... من شهرين

أجابه خالد بتوتر

ليحمر وجه أكرم غاضبا ليلكمه لكمة قوية أظهرت خط دماء بجانب فمه,

:يا متخلف أنت عارف ده معناه ايه ..... لو حد وصله في المستشفى إن دكتور خالد بقى يشرب خمرة ايه اللي هيحصل, تاريخك كله هينهار ومش بعيد تترفد وتتشطب من سجلات النقابة خالص يا متخلف...

نكس خالد وجهه أرضا بخجل ليستمع كلاهما لصوت بالخارج أمام الباب, دب الرعب أوصالهم خوفا من أن يكون أحدهم قد استمع لحديثهما,

اتجه أكرم سريعا ليفتح !

تخشب جسده أمامها ..... يا الله!!

إذن خالد لم يكن يهذي

إنها ندى .... أو بالأصح تشبهها,

يكاد الفارق بينهم في لون العين والشعر,

التفتت لتنظر له وهي تعتذر

:أنا أسفة جدا بس اللوح وقعت مني,,

والصوت أيضا نفسه..... كيف هذا؟؟!!

ما أن استمع خالد لصوتها حتى ركض سريعا نحو الباب

:ندى...

قالها بلهفة وشغف نظرت له ريما في اندهاش!

:أفندم

: احم.... تسمحي لينا نساعدك؟

قالها أكرم وهو يتدارك الموقف سريعا

:لا أبدا مفيش لزوم عن أذنكم

قالتها وهي تجمع لوحاتها واتجهت إلى شقتها

ما أن انصرفت حتى ظل خالد واقفا مكانه ينظر إلى أثرها بحنين,

نظر له أكرم بشفقة..

: يلا ندخل يا خالد

: ندى يا أكرم ندى

قالها خالد وعيناه قد أغشاها الدمع

:فوق يا خالد دي مش ندى

:أكرم أنا هرجع المستشفى تاني

قالها بإصرار

:ناوي على ايه يا خالد؟

: ناوي أرجع خالد بتاع زمان

بتذكر آخر مرة شفتك سنتا

بتذكر وقتا آخر كلمة قلتا

وما عدت شفتك

وهلا شفتك

كيفك أنت ملا أنت

***

«القمر الثالث»

يخرج من العمليات بعد أن نزع عنه القفازات وملابس التعقيم

:ايه اللي عملته جوا ده يا طارق؟

: عملت ايه يا عايدة!

: أنت مجنون .....حياة المريض مش لعبة ده كان ممكن قلبه يقف

:أنا عارف بعمل ايه كويس والعملية نجحت والمريض هيفوق كمان

:مش معنى إن العملية نجحت يبقى اللي أنت عملته صح احنا مش بنجرب في المرضى ... افرض كان مات تقدر تقولي كنت هتعمل ايه؟!

: عايدة دي أخر مرة هقولك متتدخليش في شغلي لو مش عجبك متدخليش معايا عمليات تاني...

انهى جملته لينظر لها بضيق وهو يرحل.

***

يقف بشوق أمام منزلها ذلك السجن الذهبي كما تطلق هي عليه, يتطلع إلى نافذة غرفتها ينتظر فقط أن تطل منها؛ ليختلس بعض النظرات إليها ليشفي قلبه العليل بحبها..

تولين ابنة سوريا...

جمعه معها القدر صدفة لتكون ضوء االقمرالذي عبر قلبه ليمحي ظلمته, لكن لم يكن القدر قاسي معه إلى هذا الحد,

هي أقرب إليه من روحه,

لكن بعيدة عنه كحدود السماء,

ظل قرابة الساعتين يتطلع إلى النافذة دون فائدة حتى أخيرا رآها تفتحها بمسافة صغيرة, كانت كافية ليراها وهي تلقي تلك الورقة الصغيرة التقتها سريعا ليفتحها,

كانت عبارة صغيرة لكن كافية ليصل إليه مدى خوفها...

قرأها بقلب حزين,,

«حبيبي عابد اشتقت إليك كثير بعتذر منك ما راح أقدر أحكي معك اليوم لأن يزيد لسه ما سافر يمكن آخر الأسبوع بقدر»

نظر للورقة بحزن كان يود أن يراها يستمع لصوتها العذب, اشتاق إليها مر شهران وهو يقف تحت منزلها كل يوم يراها فقط من نافذة غرفتها دون حديث, النظرات وحدها كانت معبرة.

وضع الورقة بجيبه ورحل ليصل إلى منزله وهو يجر خيبة أمله كعادته منذ شهرين

:عابد كنت فين؟

: كنت بشوفها يا ماما

: انساها يا ابني لا هي ليك ولا أنت ليها.....لم تتلقى منه رد لتردف بنفاذ صبر.....طريقكم مش واحد هي متجوزة وأنت لسه بتبدأ حياتك مش هتجيبوا لبعض غير الوجع

:وليه ..... ليه نتوجع ..... ليه منكنش لبعض؟!!

:عشان هي دى الدنيا....

: الدنيا قاسية أوي كده؟

: بتعلمك دروس صعبة لازم تبقى قدها عشان تقدر تعيش

:ده ظلم ..... ليه اتحرم من الإنسانة اللي حبتها وليه هي تتجوز واحد مش بتحبه يضربها ويهينها كل يوم؟

: نصيبكم كده

: وأنا مش هسيبها

:هتعمل ايه؟

:دي المشكلة ..... مش عارف...

قالها بضيق ليتركها ويتجه إلى غرفته

نظرت له وهو يغادر بحزن فلم يكن بيدها شيء سوى أن تدعو له براحة البال

***

يقف أمام والديه بملل

كاد صبره ينفذ من الحديث بنفس الأمر كل يوم

لا يصدق أن والدته أصبحت ترفض زواجه من حورية!!!

أليست تلك حورية التي كانت تخبرها دائما أنها ابنتها التي لم تنجبها؟!

حورية التي دائما ما تخبره أنها سعيدة بزواجه منها

ما الذي تغير الآن!!

هل لأنها أصبحت عمياء .... لا عقله يرفض تصديق هذا الأمر

: كم مرة قولت تنسي الموضوع ده خالص البنت دى مش ليك ... ما تقول حاجة يا منصور...

صرخت بها والدته ليتبعها والده بهدوء

:أقول ايه يا عايدة أقول لابني متتجوزش بنت عمك اللي بتحبها من وأنت صغير عشان بقت عامية ده اللي أنتي عايزاني أقوله

:يعني أنت موافق على الجواز؟!! ... عايز ابنك يتجوز عامية عشان يخدمها؟!! ...عايز تضيع مستقبله؟!!

:أنتي بتقولي ايه يا ماما هي مش دي حورية اللي دايما كنتي بتقولي يارب تبقي من نصيبك!

:ده كان زمان

: اه وايه بقى اللي اتغير قوليلي ايه اللي اتغير ..... عشان بقت عامية صح .... يبقى نموتها

:تقدر تقولي لما تتجوزها هتعيش معاها ازاي هتهتم بيك وبالبيت ازاي هتربي عيالك ازاي؟!!

:تفتكري يا ماما لو أنا اللي كنت وقعت على السلم واتعميت حورية كانت هتعمل ايه

:بعد الشر عليك متقولش كده ... يا ابني أنا مستعدة أجبلك عروسة أحسن من حورية مليون مرة

:أنا مش عايز غير حورية .... مين قالكم أني عايز أعيش مع واحدة تانية عشان ننهي الموضوع ده بقى لأنه أخد أكبر من حجمه أنا بحب حورية ومش عايز غيرها, وأنا حر اتجوز واختار اللي هعيش معاها ... عن أذنكم.

قال جملته بانفعال ثم تركهم ورحل دون أن ينتظر ردهم

لينظر والده إلى زوجته بعتاب قابلته هي بخذلان!!!

***

: ادخل ادخل يا دكتور

: طب أنا دلوقتي مش حاطت برفان عرفتيني ازاي!

: ريحته لسه ثابتة في الهدوم ..... حلو النوع ده بقى حافظ عليه

اقترب منها بهدوء ليجلس على أقرب كرسي بجانب سريرها

:ممكن أسألك سؤال جايز يكون سخيف؟

:اتفضل اسأل

:بتحبي خطيبك؟

سرحت في ظلامها لدقائق دون جواب ليردف هو

: الظاهر أن سؤالي فعلا سخيف

استمرت على صمتها حتى رأى الدموع تتلألأ بعينيها الساحرتين

حاول تغيير الموضوع وهو يخبرها

:تعرفي بكره هتبقي المرة الكام اللي نجهز فيها أوضة العمليات وضغطك يرتفع قبلها بدقايق

:يا دكتور أنا قولتلك قبل كده إني خلاص اتعودت ازاي أعيش من غير نور ..... صدقني أحسن بكتير من العالم اللي أنتم عايشين فيه

: ايه الاستسلام ده ..... أنتي مش نفسك تفتحي مش نفسك تشوفي سامح؟!

قال جملته الأخيرة قاصدا ليرى ردة فعلها رآها تضحك بسخرية وهي تخبره

:اه طبعا نفسي

: تعرفي إني امبارح لما وصلت بيتي ربط عيني وحاولت أمشي في شقتي اللي المفروض حافظ كل شبر فيها اتكعبلت واتخبط كتير أوي مقدرتش استحمل وشيلت الرباط .... أنتي ازاي مستحملة كده!

: أرجوك متسألنيش أي أسئلة تاني

لا أستطيع فهمك أبدا يا حورية

ترى ماذا حدث جعلك تستسلمين للظلام بهذا الشكل

لا ينكر أنه كان سعيد في كل مرة يتم فيها تأجيل العملية حتى تظل أمامه بالمشفى,

لكنه لا يقدر أن يراها عاجزة عن تلبية حاجاتها بهذا الشكل,

لو أن يستطيع فقط معرفة ما يدور برأسها...

***

يوم جديد يشرق على شواطيء الإسكندرية

صوت تصفيق حاد يصدح داخل المقهى عندما كاد خالد أن يفوز على عم حليم

لكن يبدو أنه وعلى الرغم من كبر السن إلا أن قدرات عم حليم في الشطرنج لم تضمر بعد

استمر اللعب لنصف ساعة انتهت بفوز خالد

ضحك الجميع ثم عاد كل منهم لطاولته ليتذمر عم حليم كالأطفال ليواسيه خالد

:قولتلك أنا المرة اللي فاتت سيبتك تفوز بمزاجي

: على فكرة أنا سيبتك تفوز عشان حسيتك زعلت المرة اللي فاتت

يا قلبك الطيب

: أومال يا واد ..... بس أنت شكلك فوقت أخيرا

تنهد خالد بحنين وهو يخبره

:مش فوقت بس تقدر تقول كده ..... حسيت إن الدنيا عايزه تديني فرصة تانية

: دي حاجة كويسة أوقات الدنيا بتبعت للواحد فرصة تانية وهو مش واخد باله منها أصلا .... بس اوعى تسمح للفرصة دي تضيع منك...

ابتسم خالد بحب وهو يقف

:متخافش عليا يا راجل يا طيب ... أسيبك أنا بقى عشان خلاص هرجع المستشفى تاني

: ربنا معاك يا دكتور

:ايه دا مقولتش يا واد!

: مهو طالما فوقت تاني يبقى أقولك يا دكتور

ابتسم خالد له وقبل رأسه ليتركه ويرحل

***

كانت تمسح بعض قطرات العرق التي تجمعت على جبينها نتيجة عملها الشاق في تنظيف المرسم

لم تسمح لأحد أن يساعدها بذلك تريد أن تعيد كل شيء كما كان بفردها مع بعض التعديلات

استمرت بالتنظيف لفترة حتى انتهت

لتتجه نحو شيء ما مغطى بمفرش أبيض يحمل كم هائل من الأتربة

أزالت ذلك المفرش ظلت تسعل نتيجة لكم الأتربة التي تراكمت مع مرور الزمن

ليظهر تحته تلك الآلة الموسيقية (البيانو)

ما أن رأته حتى سرحت في ذكرى والدها

كان يحب العزف كثيرا يتوه بالساعات بين الألحان

كان أكثر شيء يزعجه أن يخرجه أحد من بين ألحانه

جلست على الكرسي الصغير ثم بدأت بالعزف

كانت تود لو أنه معها الآن يستمع إلى عزفها

لكن للأسف لم يسمعها ولو مرة واحدة

فهي تعمدت بعد وفاته أن تتعلم العزف على تلك الآلة حتى تتذكره كلما اشتاقت إليه

ظلت تعزف لساعات دون ملل لم يوقف عزفها شيء غير ذلك الدوار مرة أخرى...

***

تجلس بغرفتها شاردة

"يا غبية عملتي ايه في نفسك ضيعتي نفسك ومستقبلك عشانه عرف يضحك عليكي أمك كان عندها حق صدقتيها بس بعد فوات الآوان "

كانت كريمة مغيبة طوال الوقت مع تيارات كلماته المعسولة حتى ألقت بها في بئر الخطيئة بلا رجعة

بت يا كريمة ... أنتى يا بت:

: ايه ياما

: بنادي عليكي بقالي ساعة ... مالك يا بت

: مفيش ياما تعبانة شوية

: طب أنا ريحه عند ست ريما ساعتين كده وأرجع

: ماشي

: ابقي خدي دوا يريحك

ضحكت كريمة بسخرية على حالها

:حاضر

تركتها أمها ورحلت لتظل هي تبكي لساعات لما جنته على نفسها

***

: خالد حمدالله على السلامة المستشفى نورت

قالها أكرم بفرح

أخيرا عادت لصديقه جزء من روحه مرة أخرى

أقبل جميع من بالمشفى يرحب به بحب

هو وحده ظل واقفا بأحد الأركان يتطلع له بحقد من بعيد!!

رحل الجميع بعد ترحيب كبير

ليلاحظ خالد ذلك الواقف بعيدا ينظر له بشذر

:ايه يا طارق مش هتسلم عليا ولا ايه؟!

:لا ازاي طبعا ..... ازيك يا دكتور عاش من شافك ..... بس ايه يعني اللي خلاك تغير رأيك وترجع تاني ..... ايه مراتك رجعت من الموت

: طاارق

صرخ بها أكرم بحدة ليجيبه خالد ببرود

:لا يا طارق مراتي مرجعتش بس عرفت إن فيه دكاترة هنا مش عارفين يشتغلوا قولت أجي أدربهم زي زمان

نظر له طارق بغضب .....واشتعلت حرب الأعين بينهم

قطعها مجيء المدير يرحب به

: دكتور خالد أيوه كده حمدالله على السلامة ... لما أكرم كلمني مكنتش مصدق المستشفى رجعت تنور

: دكتور أمين الله يسلمك .... لا صدق بقى أنا خلاص راجع وبقوة كمان

: احنا فعلا محتاجينك جدا الفترة دي جدا

كاد طارق أن ينصرف لكن أوقفه صوت المدير

:طارق من فضلك استناني في مكتبي

أومأ رأسه بإيجاب وهو يرحل

مر الوقت كان يسير أكرم مع خالد داخل طرقات المشفى يسأله خالد عن أحوال المرضى فيجيبه أكرم بصدر رحب

: طب وايه أخبار حورية المستشفى؟

قالها خالد بخبث لينظر له أكرم بحزن وهو يخبره

:مش عارف يا خالد ... كل مادا ما بحس إن في حاجة هي مخبياها ... النهاردة كان ميعاد العملية بتاعتها للمرة الرابعة اللي أجهز فيها أوضة العمليات وضغطها يعلى قبلها بعشر دقايق ونوقف العملية.

:طب ايه السبب؟

: رافضة إنها تعمل العملية مستسلمة للي هي فيه

: وخطيبها؟

: لا خطيبها ده حكاية تانية

كاد أن يكمل لولا مجيء الممرضة وهي تركض

: الحق يا دكتور حورية بتصرخ وعمالة تكسر كل حاجة في الأوضة وخطيبها معاها مش عارف يسيطر عليها

رغم الزهر اللي متَلِّي الحقول

شو ما تحكي وتشرحلي وتقول

حبيبي.. حبيبي..

تَ نرجع لا مش معقول

***

«القمر الرابع»

عصفور محبوس داخل قفصه الذهبي يخشى عليه مالكه من الضياع

لينتهي به الحال بالحبسة وتقييد حريته

هذا هو حالها منذ أن تزوجته ربما من يراها من بعيد يظن أن حياتها تمتلك من المثالية ما تتمناه جميع الفتيات

فتاة جميلة بشعر أسود طويل وعيون عسلية وجسد ممشوق القوام

تعيش مع زوجها الرجل الغني الذي يملك من الجاذبية ما يكفي ويفيض بأحد الدول الاوروبية

ماذا ينقصك يا فتاة !!

لكن إذا اقتربوا ونزعوا الستار سيروا تلك الحياة البائسة التي تعيشها,

سيروا علامات الضرب والإهانة على جسدها,

كانت تجلس تترقب قدومه بخوف,

دقائق وسمعت صوت أقفال الباب تنفتح,

ارتعش جسدها خوفا منه عندما دخل واقترب منها

: كيفك اليوم؟

: بخير

اقترب منها بشدة لتشمئز من رائحة الخمر التي فاحت منه

: شو فيه

:أنت شارب؟

:كاس صغير ما بيأثر

قام بتقبيلها بعنف لتبكي هي بخوف

نظر لها بغضب يعلم جيدا أنها تنفر منه ليزيد بكائها غضبه

يعلم أنها لا تتقبله كزوج .... لكن لا يهم المهم أنها له وحده

لكن دموعها تلك ... لما يشعر دائما أنها كحد السيف بقلبه

:شو فيه؟

:ولا شي

: راح تجي معي اليوم بالليل .....(نظرت له بتساؤل ليردف).....حفلة تبع الشركة وأنتي راح تجي معي

أومأت برأسها بإيجاب وهي تردف

: راح فوت جهز الأكل

نظر لها وهي تنصرف بضيق ليحدث نفسه

«أنتي وجعي المحبب يا تولين»

***

:ممكن أسمع تفسير للي حصل النهاردة في غرفة العمليات يا طارق؟

: والله دي حاجة ممكن تحصل في أي عملية عادي واحنا بنعرف نسيطر عليها

:عملية بسيطة زي دي بيعملها دكتور كبير زيك قلب المريض يقف منه .... مش معقول!!!

:قصدك ايه يا فندم؟!!

: سبق وحظرتك قبل كده يا طارق إن حياة المريض مش لعبة بين أيدينا, دي مسئولية ربنا عطاها لينا لازم نكون قدها صح ولا لا

: وأنا بقى عملت ايه؟

كان يتحدث معه ببرود أثار غيظ مديره

:أنت عارف كويس عملت ايه ..... ولولا أني عارف إنك دكتور شاطر ورصيدك فيه كتير من العمليات الناجحة أنا مكنتش هخليك تستنى لحظة في المستشفى .... لكن توصل بيك إنك تخاطر بحياة المرضى من غير حساب عشان تثبت لنفسك إنك دكتور شاطر ده اللي مش هسمح بيه...

:وأنا عارف كويس أنا بعمل ايه

:ويا ترى التجارب اللي بتعملها في غرفة العمليات بتكون حاسب معدلات نجاحها قبل ما تشتغل؟!

:اه .... اه طبعا

طفح الكيل بمديره ليفجر بوجهه تلك المفاجأة,

فما باليد حيلة لن ينتظر حدوث كارثة على يد ذلك الأحمق,

يعلم جيدا أن طارق شخصية اندفاعية يجب السيطرة عليها,

ويبدو أن ذلك هو الحل الأمثل..

:جهز نفسك يا طارق لأن خالد هيدخل معاك كل العمليات بعد كده

:نعم!!!!

صرخ بها طارق وهو يقف بغضب ليحذره مديره

: طارق متنساش نفسك

:خالد مين اللي يدخل معايا ...ده على أساس إني طالب في الامتياز مقدرش أقوم بعملية لوحدي!!

: ده آخر كلام عندي يا طارق لو مش عجبك يبقى تتفضل تقدم استقالتك وأنا هقبلها فورا

خرج طارق من الغرفة كالإعصار تحت أنظار الجميع

يبدو أن المشفى مؤخرا ستشهد على الكثير من الأحداث المثيرة

***

بعد أن انتهت من حملة التنظيف الخاصة بالمرسم فوجئت ريما بأم كريمة تجلس على السلم أمام باب شقتها

: دادا يا خبر أنا نسيت خالص أنك جايه النهاردة

أخذتها أم كريمة بالأحضان

ووابل من القبلات والترحيب

: وحشتيني يا ست ريما حمدالله على سلامتك

: الله يسلمك ... تعالي تعالي ندخل

اتجهوا معا للداخل

لتبدأ أم كريمة بالحديث عن إسكندرية وأحوالها وهي تبدأ عملها وريما تستمع لها بحب,

ثم اتجهت لتشغيل صديقتها الوحيدة هنا وفي كل مكان (جارة القمر),

توجهت بعدها إلى المطبخ لتعد قهوتها المانو المفضلة...

:أعملك قهوة معايا يا دادا

:كان نفسي أقولك ايوا يا ست ريما بس أعمل ايه الدكتور محرج عليا مشربش شاي ولا قهوة خالص

: ربنا يديكي الصحة يا دادا

: والست هانم عامله ايه وأستاذ عابد

: بيسلموا عليكي

: الله يسلمهم ..... وأنتي جايه تعملي ايه هنا لوحدك يا ست ريما؟

ابتسمت ريما بشوق ها قد عادت مرة أخرى لثرثرة أم كريمة التي لا تنتهي,

يبدو أنها ستواظب على دواية الصداع الفترة القادمة..

***

توجه كلا من أكرم وخالد إلى غرفتها سريعا ليفوجئا الاثنان من حالتها!!

هي تصرخ وتحاول تكسير كل ما تقابله يدها وسامح يحاول جاهدا بكل الطرق السيطرة عليها دون فائدة

: حورية اهدي يا حبيبتي مالك بس حورية عشان خاطري فيه ايه طيب فهميني

حاول سامح تهدأتها بكل الطرق دون فائدة..

ماذا جرى لها لا يفهم؟!

اتجه أكرم إليها ليصرخ في الممرضة أن تحضر له إبرة مهدئة سريعا

أعطاها إياها وهو يكبلها بيديه يمنعها من الحركة لتغوص بعدها في نوم عميق

اتجه أكرم إلى سامح ليسأله بحدة

:ايه اللي حصل وصلها لكده؟!

: أنا مش عارف ومش فاهم ايه اللي بيحصلها ده!!

: أنت أكيد السبب

:أفندم؟!

تدخل خالد سريعا يحاول السيطرة على الموقف

:دكتور أكرم قصده أنك تكون زعلتها أو حاجة عشان كده هي متغيرة

:أزعلها ازاي وهي في الحالة دي بس

لم يستطع أكرم التحمل أكثر من ذلك

ليتجه إلى الخارج سريعا دون سماع أي كلمة أخرى

***

دقات على باب المنزل أخرجتها من شرودها,

ظنت أن والدتها قد عادت مبكرا,

لكنها فوجئت من الواقف أمامها بحالة غير طبيعية...

:أنت ايه اللي جابك هنا؟!!

: الجميل وحشني قولت اجي أطمن عليه

قالها وهو يترنح في وقفته

:بعد اللي عملته مش عايزه أشوف وشك هنا تاني

: أصلح غلطتي

قالها وهو يدخل ويغلق الباب خلفه لتحاول هي منعه دون فائدة

:بقولك اطلع برا أنت مبتفهمش ولا الهباب اللي بتاخده لحس مخك

:أنا بحبك يا كريمة

:ضحكت عليا مرة وصدقتك زي الغبية لحد ما ضيعتني

:أصلح غلطتي ونتجوز

:ايه؟!!

:ايوا نتجوز يا قلب فتحي

: فتحي أنت بتتكلم جد

:هي الحاجات دي فيها هزار

:يعني هتتقدم لأمي

:طبعا

قالها وهو يأخذها بين أحضانه ويدفن وجهها بصدره

ثم يظهر ابتسامته الخبيثة

الحمقاء دائما ما تقع في الفخ بسهولة

حسنا قليل من العبث معك لن يضر

ظل يحتضنها وهو يبث السم في كلامه المعسول الذي يدغدغ قلبها ويعمي عقلها عن حقيقته اللعينة,

لم تدري بنفسها إلا بعد أن فات الآوان لتفعل جريمتها معه للمرة الثانية....

***

:أنت اتجننت يا أكرم ايه اللي عملته ده!!

:أنا بحب حورية يا خالد ... بعترف اه بحب حورية .... ومش قادر أشوفها وهي بالشكل ده وكمان مع حد تاني...

:أنت عارف لو خطيبها عرف هيعمل ايه ممكن تخسر كل حاجة في ثانية

:أنا حاسس أنها مش بتحبه تصرفاتها معاه بتقول كده

:احنا منعرفش الحكاية ايه اهدى واستنى على الأقل لحد ما تعمل العملية

ظل أكرم ينظر لخالد لثواني

تلك النظرة كان يعلمها خالد جيدا ..... نظرة لا توحي بالخير أبدا

:بتفكر في ايه يا منيل

:كل خير

ظلا يتحدثان سوى بعضهما البعض غير مدركين لذلك الواقف على الباب يستمع لكل شيء,

ابتسم بخبث ثم رحل سريعا قبل أن يكشفه أحد..

***

يجلس بغرفته يفكر فيما وصلت إليه حياته مؤخرا,

حتى قطعه رنين هاتفه يعلم جيدا من المتصل قبل أن يرى,

من غيرها التي تحاول طوال الفترة السابقة أن تتحدث إليه أما هو يصدها بكل الطرق,

ظلت تعيد الاتصال مرارا وتكرارا حتى أغلق هاتفه تماما,

ليعود لشروده مرة أخرى .....

آآه يا حورية لما أصبحت بعيدة هكذا بعد أن كنتي جزءا من روحي,

فتح نافذة الغرفة ينظر إلى بحر الأسكندرية الساحر,

تذكر آخر مرة كانت تسير معه قبل أن تفقد بصرها بيوم كانت تخبره كم هي سعيدة فزفافهم قد اقترب,

وهو يخبرها كم يعشقها منذ أن كانت صغيرة,

لتتغير الأحوال كلها بثانية ..... ثانية واحدة قلبت حياتهم رأسا على عقب...

نظر للسماء بإرهاق وهو يدعي من قلبه

:يارب....

***

يقف أمام باب شقته يتطلع للباب المقابل له استمع إلى صوت فيروز ليعلم أنها بالداخل

يبدو أن فيروز ستصبح صديقته أكثر من أكرم الفترة القادمة

كان يفكر في أي حجة الآن ليطرق بابها ويراها

لكن دون فائدة ليحدث نفسه

«اعقل يا خالد هتخبط تقولها ايه»

ليفتح بابه ويدخل لمحت عينيه تلك الكوفية الزرقاء أسفل الكرسي التقطها باندهاش وهو يفكر لمن تكون؟

حاول ارتدائها ليجدها صغيره للغاية

اتجه إلى تلك الشرفة الصغيرة والوحيدة بشقته ليجلس بها يدخن سيجارته بهدوء

وجد أن صوت فيروز أصبح أقرب إليه الآن لينظر بجانبه

يا الهي نعم الشرفة المجاورة لشرفته هي لها إذا لن يكون أمر التعرف عليها بتلك الصعوبة حسنا سيظل جالسا هنا حتى يراها...

ظل جالسا طويلا ينتظر رؤيتها دون فائدة حتى أصبح الجو قارصا للغاية لف تلك الكوفية القصيرة حول رقبته وأحضر جاكيت ثقيل ليبث له القليل من الدفء, وظل جالسا حتى غلبه النعاس لليوم التالي...

***

يراها وهي تهبط السلم الداخلي للبيت, ترتدي فستانا أسود طويل ذو حمالتين عريضتين وفتحة صدر مثلثة شعرها مفرود خلفها يتطاير فيرقص معه قلبه, زين عنقها عقد فضي لامع يليق مع ذلك القرط الذي زين أذنيها..

سحقا .... لما أنتي فاتنة بهذا الشكل!!

أين كان عقلي عندما طلبت أن تأتي معي؟

ظل سارحا في جمالها لثواني خرج منه مع جملتها

:أنا جاهزة

حمحم بخشونة وهو يمد لها يده

أمسكت بيده في خوف وصل إليه على الرغم من غضبه لذلك الخوف,

لكنه كالعادة لا يهتم بهذا,

يريدها دائما خائفة ضعيفة .... هذا سيجعلها دائما تحت أمره,

شعاره الدائم .... الخوف يولد الطاعة,

وهذا ما يريده ..... إذا لما الغضب الآن؟!

خرجا سويا واتجها نحو السيارة

لمحت عابد وهو يقف بعيدا

توترت يدها المعلقة بيده ليلاحظها

:شو فيه؟

:أبدا ولا شي

ركبت معه السيارة ورحلت

ليقف هو يشاهدها من بعيد وهي ترحل معه,

يشعر بخوفها يرى الدموع الحبيسة بعينيها,

كانت فاتنة و ساحرة بحق,

يود لو أن يذهب وراها ويختطفها من بين يدي هذا السجان ... لكنه يخشى عليها قبل أي شيء

وصل الاثنان للحفل

لتكون هي حديث الجميع,

رأى أنظار جميع الرجال قبل النساء وهي مسلطة عليها,

لم يدرك نفسه وهو يضغط على يدها بعنف لتتألم هي دون أن تخبره,

أقبل عليه العديد من شركاؤه في العمل,

كان حديثا طويل لم يخلو من نظرات الإعجاب نحوها والتي كان يلاحظها يزيد جيدا,

لم يفلت يدها طوال الحفل,

تشعر أنها مقيدة تريد بعض الحرية,

طلبت منه الذهاب للحمام.... ولم يكن طلبها إلا للشعور ببعض الحرية,

تركها لتشعر أنها تريد الركض بعيدا لتصرخ وتصرخ حتى يذهب صوتها,

ذهبت إلى حمام لتدخل في نوبة بكاء نتجت عنها احمرار عينيها,

جاءت لتخرج لتجد أحدهم يعترض طريقها,

وأغلق عليهما الباب...

:أنت مجنون شو عم تسوي هون

:يا الله شو كتير حلوة

يا إلهي أنه أحد أصدقاء يزيد

:شو عم تحكي أنت مانك خايف إذا اجي يزيد وشافك هون
:لا تخافي حبيبتي ما راح يعرف شي
اقترب منها لتصرخ هي بخوف
شعر يزيد بغيابها اتجه نحو الحمام ليستمع لصرخاتها باسمه
انخلع قلبه خوفا عليها .... حاول فتح الأبواب دون فائدة ليكسره
فيجد ذلك الحقير يحاول أن يعتدي عليها انقض يزيد عليه كالذئب لم يتركه إلا وجميع عظامه محطمة
تجمع كل من في الحفل على صوت صراخها
تركه يزيد وسحبها خلفه للخارج دون أي كلمة
ظل يقود على أقصى سرعة طوال الطريق ..... كانت تراه وهو يضغط على إطار السيارة حتى برزت عروقه
فلم يزيدها ذلك إلا خوفا
تتمنى أن تمر تلك الليلة وهي حية
وصلا البيت ألقت نظرة على نفس المكان الذي كان يقف فيه عابد فلم تجده
ما أن دخلت حتى جذبها من يدها إلى غرفتهما
ألقاها أرضا حاولت الوقوف لكنه لم يسمح لها
:كيف بتسمحي لهاد الحقير أنه يقرب عليكي فهميني كيف؟!
أنهى جملته بصفعة قوية على وجهها
:أنتي ملكي أنا وبس بتفهمي شو عم بحكي ما فيه حدا ب هالدني خلقه الله من حقه أنه يقرب عليكي غيري أنا عم تسمعي
: وحياة الله أنا ما .....
كانت تود أن تدافع عن نفسها لكنه لم يعطيها تلك الفرصة ليرفعها لنفس مستواه ويمزق فستانها ظل يقبلها في جميع أنحاء جسدها يود أن يمحي أثر أيدي ذلك الحقير عنها
لم تصرخ لم تحاول أن تمنعه تعلم أنه لن يزيده ذلك غير القسوة معها أكثر فقط تبكي وتبكي حتى خارت قواها بالكامل...
ليضيف هو شرخ جديد إلى روحها المشوهة...

لا إنتَ حبيبي ولا ربينا سوى

قصتنا الغريبة شلعها الهوى
وصرت عنك غريبة
إنساني يا حبيبي
***

«القمر الخامس»

يهبط لأسفل بهدوء حتى لا يراه أحد, كان على وشك الخروج من الباب ليلمح والدتها قادمة من بعيد
اختبأ تحت السلم حتى صعدت لأعلى تأكد من أنها دخلت منزلها؛ ليهرب سريعا للخارج كالفئران
:كريمة ..... بت يا كريمة

كانت **تحاول** كريمة إخفاء آثار جريمتها معه توترت عندما سمعت صوت والدتها,
عدلت نفسها سريعا لتخرج وهي تحاول أن تكون طبيعية
:أيوا ياما أخرتي كده ليه؟
:يادوب خلصت عند ست ريما وجيت طوالي .... عاملة ايه دلوقتي التعب راح؟
:تمام تمام
:مالك يا بت حالك مش عجبني؟!
:ااا... أبدا ماأنا كويسة أهو .... أنتي دايما اللي بتتوهمي حاجات غريبة كده
:بتوهم ماشي .... أما أشوف أخرتها معاكي
قالتها بشك لتوجه كريمة نظرها الجهة الأخرى
تحاول بداخلها تبرير ما تفعله
ما الخطأ هو يحبها وسيتزوجها إذا لا داعي للخوف أو الإحساس بالجرم
***
استيقظ في الصباح على صوت صديقته الجديدة في الأيام الأخيرة, سعل بشدة يبدو أنه قد أصيب بالبرد من نومه في تلك الشرفة منذ البارحة, ظل يراقب شرفتها المجاورة على أمل أن تخرج ثواني وتسللت إلى أنفه رائحة القهوة المانو فقد الأمل أن يراها كاد أن يتجه للداخل بخيبة أمل لكنه تسمر مكانه عندما سمعها..
:صباح الخير.
لا رد
:صباح الخير يا دكتور
نظر إليها باندهاش
:عرفتي منين إني دكتور؟!
كانت تتوقع ردا آخر
نظرت له بتعجب
:من اليافطة اللي على باب شقتك
قالتها ثم دققت حول رقبته لتتسع عينيها بفرحة وهي تردف
:دي الكوفية بتاعتي

أفندم:
لم يكن منتبه لما تتحدث عنه حتى وجهت يدها لما تقصد ليدرك بعدها ماذا تعني
دي الكوفية بتاعتي .... إزاى وصلتلك!!:
ااا.... أنا.. لقيتها واقعة قدام باب الشقة :
قالها ليسعل بعدها بشدة
شكلك تعبان أوي ألف سلامة:
الله يسلمك .... اتفضلي الكوفية.:
لا خليها معاك دلوقتي وابقى رجعهالي بعدين عن إذنك أنا لازم أمشي:
See you later:
قالتها ثم انصرفت سريعا وقف مكانه لدقائق يحاول استيعاب ما حدث
ندى عزيزتي أيعقل أن تكوني عدتي لي مرة أخرى
هل سامحتني؟
هل تعطيني الحياة فرصة أخرى معك؟
أم هو جرح جديد يضاف إلى قلبي؟!!
***
يعشق للحد الذي يجعله يجرح من يحب حتى لا يتعلق بهم أو يتعلقوا به
استيقظ قبلها لينظر إلى جريمته
لا يجرؤ على الإعتراف أنه يخاف من نظراتها عندما تستيقظ,
كأنها دليل إدانة على قسوته,
قسوة أم ضعف ....
سمها كما تشاء فأي قسوة ابنه لضعف,
جسدها المليء بالكدمات,
شفتيها الزرقاء الدامية,
دموعها الجافة على وجنتيها,
جميعها أدلة بائنة على جريمته بالأمس,
لا ليس هو المذنب وليس الجاني,
أي رجل ذلك الذي يقبل على نفسه أن يرى زوجته بين أحضان رجل آخر,
لم يدري بنفسه سوى وهو ينقض على عنقه يحاول خنقه

أما هي ف.....
فماذا يا يزيد هي لا حول لها ولا قوة معك
انظر إليها ماذا فعلت؟!
أخذ ملابسه سريعا ليخرج قبل أن تستيقظ,
نعم يعترف لن يجرؤ على النظر إلى عينيها الآن,
لن يستطيع أي أحد على وجه الأرض أن يذيب ذلك الجليد عن قلبي,
ولا حتى أنتي يا تولين...
***
منذ الصباح وهو يجلس معها بغرفتها
تحدثا معا في كل شيء عدا ما يخص العملية أو حياتها قبل الحادثة
قطعا حديثهما معا عندما دخلت الممرضة تحمل كوبين من العصير كان قد طلبهما أكرم
:شكرا يا زينب اتفضلي أنتي
ساعدها في حمل الكوب لتتناوله بالكامل
ظلا يتحدثا معا لدقائق حتى ذهبت حورية في نوم عميق
ليركض أكرم سريعا ينادي تلك الممرضة
جهزي غرفة العمليات بسرعة.
***
تجلس على المكتب داخل المرسم تختار مع المصمم الشكل النهائي لكروت الدعوات التي سيتم توزيعها على الزوار؛ لافتتاح المرسم من جديد
بعد غلقه سنوات
:هو ده تقدر تطبعلي منه ٥٠٠ دعوة
:خلاص اتفقنا هيكونوا عندك آخر الأسبوع
:تمام ميرسي أوي تعبتك معايا
:لا تعب ولا حاجة ده شغلي
انصرف لتتجه هي إلى البيانو وتبدأ في العزف لكنها وقفت فجأة عندما عاود ذلك الدوار في الظهور من جديد
اتجهت إلى حقيبتها وأخرجت علبة الدواء الخاصة بانخفاض ضغط الدم لتتناول واحدة

وتعاود العزف...
***
كان يستمع لمن يحدثه بالهاتف بغضب
من هذا المختل؟
:ممكن أعرف أنت مين؟
:فاعل خير ... حبيت أحذرك بس خلي بالك على خطيبتك
:الو ... الو
صرخ بها سامح بعد أن أغلق ذلك الغريب الخط
ليشتعل الغضب برأس سامح
العديد من التساؤلات ظهرت برأسه دون إجابة
يجب أن اطمئن على حورية الآن!!
***
استيقظت وهي تشعر بألم بالغ في جميع أنحاء جسدها تذكرت ما حدث بالأمس لتلعن نفسها وتلعن والدها الذي أجبرها على الزواج منه
والدها لاعب القمار المحترف
والذي خسر جميع أمواله مقابل ذلك
والموهوب في إمضاء الشيكات على بياض ليصبح مفلس ومديون وعلى وشك أن يتم سجنه
كان يزيد هو المنقذ الوحيد له أن يدفع له كل ديونه مقابل أن يزوجه ابنته
يا إلهي كم هي صفقة رابحة دون شك
هي وحدها الخاسرة بها
ضحية أب فاسد وزوج مريض
ظلت تبكي وتبكي على حالها
فكرت في الانتحار أكثر من مرة ولكنها لم تجرؤ على ذلك
حاولت النهوض بصعوبة لفت المفرش حول جسدها العاري لتنهض وتسقط سريعا
ظلت تصرخ وتصرخ بأعلى صوت لدرجة أنها لم تكن تعلم أنها تمتلك تلك النغمة العالية بصوتها

كان الصراخ هو أقسى ما تملك ربما تحاول بذلك أن تلملم شتات روحها المتهالكة.

***

يسير خالد داخل أرجاء المستشفى وهو يسعل نتيجة نومه البارحة في ذلك البرد اتجه نحو غرفة العمليات بالتأكيد مازال أكرم بالداخل قابله سامح وهو يسير

صافحه ليسأله عن حورية؟

:أنا كنت رايح لأكرم دلوقتي أكيد العملية لسه مخلصتش

:أنا مش عارف أشكر دكتور أكرم إزاي أنا كنت خلاص فقدت الأمل

:مفيش حاجة بعيد عن ربنا .... يلا نروح نشوفهم

وقف الاثنان أمام غرفة العمليات ليمر طارق مع عايدة من أمامهم عقد حاجبيه بتعجب ووقف يتطلع إليهم من بعيد

:يعني متعصبش ولا هد الدنيا زي ما بتقول

قالتها عايدة بسخرية

:أنا مش فاهم حاجة

:كل ده ومفهمتش.....خطتك فشلت يا دكتور

تطلع إليها بإزدراء لتردف

:جو أنك تتصل بيه وتخليه يشك في خطيبته عشان تحط أكرم في مشكلة ده قديم أوي .... بصراحة كنت فكراك أذكى من كده

قالت جملتها ثم تركته وحده يستشيط غضبا

***

يجلس بغرفته حزينا منذ الصباح

شعوره أن شيء ما قد حدث لها مسيطر عليه

يود لو أن يذهب إليها الآن ويختطفها من هذا الشيطان الملقب بزوجها

: عابد

:متقلقيش يا ماما أنا كويس

نظرت له بعدم اقتناع

:لا أنت مش كويس .... مش كويس أبدا

:لو سمحتي يا ماما عايز أبقى لوحدي

:تولين اللعنة اللي مش عايزه تسيبك
:ماما أرجوكي
:أرجوك أنت ارحم نفسك
:أنا حاسس إن فيه حاجة حصلت ليها ومش عارف أوصلها ... حاسس إني عاجز
:وأنت مالك بيها هو أنت جوزها!!
نظر لها وهو يقف بغضب
:أنا بس كل اللي عايزه إني أطمن عليها كويسة ولا لا
نظرت له والدته بنفاذ صبر
:ربنا يهديك يا ابني
قالتها وهي تنصرف وتدعو من كل قلبها أن يريح قلبه
***
انتهت العملية ليخرج أكرم وهو ينزع عنه ملابس الجراحة
تقدم سامح إليه بحماس وهو يسأل
:نجحت مش كده
نظر له أكرم بجمود
:النتيجة هنعرفها بعد ما نشيل الرباط مش دلوقتي
قالها ثم انصرف نظر له سامح بتعجب
ليأتي خالد من الخلف مطمئنا
:متقلقش أكرم دكتور شاطر
أومأ سامح رأسه بإيجاب مصحوب بضيق واضح على وجهه
لتخرج حورية أمامه وهي غائبة عن الوعي على سرير المشفى يخبيء عينيها الساحرتين شاش طبي
اتجه سامح معهم بلهفة يتمنى من كل قلبه أن تكون قد نجحت العملية
عادت إلى غرفتها مرة أخرى
جلس بجانب سريرها لتعود كلمات ذلك الغريب ترن بأذنيه مرة أخرى
تشتت تفكيره
لتبدأ الأفكار السلبية تملأ رأسه وهو ينظر لها وهي نائمة
أيعقل أنها لم تعد تحبني كالسابق

هل أصبحت تحب شخصا آخر؟!
أو شعرت أنها تسرعت في قرار زواجنا
اااه لو أستطيع أن أدخل داخل عقلك يا حورية
أشعر أنك تخبئين شيئا ما عني .... فقط لو أعلم ما هو؟؟

نحنا والقمر جيران
بيته خلف تلالنا
بيطلع من قبالنا
يسمع الألحان

***

«القمر السادس»

تجلس بجانبه على السرير وهو يمرر يده الدنيئة على جسدها العاري
يبدو أن ضميرها الحي قد دفن ولم تعد تخشى أحد حتى خالقها
يبدو أن هذا الرجل علم جيدا مفتاح تلك الحمقاء ليسحبها معه تدريجيا إلى
بئر خطاياه ويضيف ضحية جديدة داخل قفصه الممتلئ
ولن ينكر أنها كانت فريسة سهلة لم ترهقه في صيدها

:أنت هتروح تقابل أمي امتى يا فتحي؟
:قريب قريب
:قريب اللي هو امتى يعني؟
: أيوووووه عليكي يا كريمة لما بتبوظي أي لحظة حلوة
: هو لما أسألك هتتجوزني امتى ابقى ببوظ اللحظة الحلوة
:يا بت أنتي شايفه العيشة عاملة إزاي اصبري لما تحلو
:وهتحلو امتى بقى
:لما ربنا يسهل
:وافرض العيشة متحسنتش هنفضل كده من غير جواز
:ومالها كده ماهي زي الفل أهي يا جميل
قالها وهو يقترب منها لتبعده بعنف
:أنت كنت بتضحك عليا يا فتحي
:يا بت أنا بحبك وعايز أتجوزك وعايز الحالة تبقى أحسن عشان أمك ترضى بيا
:اوعى تكون بتضحك عليا يا فتحي أنا ممكن أموت فيها
:بعد الشر عليك يا جميل ... تعالي بس
وكالعادة غرقا معا في بئر خطاياهما من جديد
يعرف في كل مرة كيف يمحي عقلها
لتلتقط هي الطعم بكل سذاجة.
***
بالمشفى دخلت فتاة محمولة على الترولي غارقة في دمائها ومعها شخص يصرخ
:دكتور بسرعة دكتور
اتجه طارق إليه سريعا
:الحالة ايه؟
:مضروبة رصاصتين وفيه نزيف
:عمليات بسرعة
صرخ بهم طارق وهو يتجه للعمليات ليلحق به خالد سريعا
:معاك يا طارق .... ٣ أكياس -Oعلى العمليات بسرعة

اتجه الاثنان مع الممرضات للعمليات بملابس التعقيم
:أنا هتعامل مع الرصاص وأنت اتعامل مع النزيف يلا .... مشرط بسرعة
قالها خالد بلهجة إمرة لطارق الذي نظر له شزرا
كان كل منهما يعمل في جو من التوتر والقلق من فقدان تلك المسكينة
استمر الوضع لساعة حتى سأل طارق
:التنفس
:٨
:مش عارف أمسك الرصاصة كده هتضيع مننا
قالها خالد بغضب
:الرصاصة اللي هنا جرحت الأورطي .... عايز وحدتين دم كمان بسرعة
صرخ بها طارق لتتجه الممرضة لطلب وحدتين من الدم واستعجال
التحاليل
:أنا مسكت الرصاصة ... إيدك معايا يا طارق
:مش هينفع أنا بوقف النزيف
:إيدك معايا يا منى بسرعة
:وسعي وسعي أكتر
:دي آخر حاجة يا دكتور
:مش هينفع يا خالد كده هتدخل في Shoc
صرخ بها طارق
تجاهله خالد وظل يحاول في إخراج الرصاصة
ليتوقف القلب فجأة ليصرخ طارق
:ابعد يا خالد
:لا
:خالد ابعد
:لازم أخرج الرصاصة
ليصرخ طارق
DC shock ….250 Clear:
ظل طارق يصدمها بالصدمات الكهربائية وما زال خالد مستمر في إخراج
الرصاصة دون يائس

300Clear:
ظل طارق يحاول بالصدمات الكهربائية ليعيد القلب للحياة دون جدوى
ليصرخ خالد
:النبض مش هيرجع غير بخروج الرصاصة دي
:ابعد يا خالد
:مش هبعد لازم تخرج
ظل جميع من بغرفة العمليات يأمرون خالد أن يبتعد حتى صرخ طارق
بزيادة الصدمات الكهربائية
ليعود فجأة النبض مرة أخرى نظر الجميع إلى خالد وجدوه قد أخرج
الرصاصة وينظر لها بانتصار ليأمرهم ببرود
:يلا نكمل
نظر له الجميع بإعجاب عدا طارق الذي ظل ينظر له بغيظ
عاد الجميع مرة أخرى يعملوا بحذر
:أهو أنا كده هقدر أسيطر على النزيف اللي في الأورطي .... اشفطي الدم
قالها طارق ليصرخ خالد بضيق
:مش لاقي الرصاصة التانية.... مش عارف هتعيش ولا لا
ليتوقف القلب مرة أخرى
:بسرعة يا منى DC shock
صرخ بها خالد ليعلو صوت طارق
:أنا مش هقدر أسيب الشريان
:لازم تسيبه.... ابعد يا طارق
قالها خالد بلهجة أمره ليتركه طارق بالفعل
300 Clear…….. 250Clear :
عاد النبض مرة أخرى
ليتنفس الجميع الصعداء ويعودون للعمل مرة أخرى بين خياطة الجروح
ووقف النزيف
واستمر خالد بالعمل حتى وجد الرصاصة الثانية وتم إخراجها
بعد عمل استمر أربع ساعات انتهت العملية واتجهت المريضة للعناية
***

يقف خارج الغرفة يتحدث بهاتفه ويبدو على وجهه الإرهاق
:ها يا ابني طمني العملية نجحت
:هي عدت على خير يا بابا بس لسه مش هتعرف النتيجة إلا أما تشيل الرباط
:على خير بإذن الله .... أنت في المستشفى دلوقتي
:أيوا
:طيب خليك عندها وأنا جاي
أغلق معه الخط ليجد زوجته تقف عند باب الغرفة تستمع للحديث من أوله لتسأله بفضول
:عملت العملية
:أيوا الحمد لله أنا مبسوط أوي ومتفائل خير إنها هترجع تشوف
: اه طبعا أن شاء الله
قالتها ببرود ليسألها بتعجب
:مالك يا عالية شكلك مش مبسوطة
:لا أبدا بس تعبانة شوية
:خير مالك حاسه بإيه؟
:أبدا شوية صداع بس روح أنت خليك مع سامح
تركها ورحل لتترك لدموعها العنان لتسير على وجنتيها بحرية
***
كانت تتحدث مع والدتها عبر أحد مواقع التواصل
:ماما وحشتيني أوي أوي أوي
:ريما حبيبتي وأنتي كمان كل حاجة عندك تمام أنتي كويسة
:كويسة أوي متقلقيش حتى قربت أفتح المرسم كمان
:الحمد لله
:مالك يا ماما أنتي كويسة
:عابد يا ريما
قالتها والدتها بحزن لتسألها ريما بقلق
:ماله؟!
:أحواله مبقتش عجباني

:ليه ... ايه اللي حصل؟!!
:بقاله فترة ميعرفش عنها حاجة بقى زي المجنون عايز يشوفها بأي طريقة
حتى شغله بقى مهمل فيه وبقى متعصب طول الوقت
:سيبيه يا ماما
: أسيبه يضيع نفسه أنتي بتقولي ايه
:مش قصدي .....قصدي سيبيه يعمل اللي في دماغه لحد ما يتأكد
بنفسه في الآخر أن تولين عمرها ما هتكون ليه
:أنا خايفة على أخوكي أوي
:صدقيني يا ماما كلامك عمره ما هيجيب نتيجة طول ما هي شاغله
دماغه .... سيبيه يعمل اللي شايفه صح
:هيتوجع
:هيفوق
:ربنا يهديكم يا ولاد
:يارب يا ماما
:اوعي تنسي تبعتيلي صور من الافتتاح
:حاضر متقلقيش
:سلام يا حبيبتي
أغلقت معها الخط وهي تفكر في الحالة التي وصل إليها شقيقها
ترى أحقا يوجد شخص يستحق كل هذا الحب الذي يحبه شقيقها
لتولين !!؟
***
استيقظت حورية وهي تشعر بألم خفيف برأسها
ثواني لتستوعب هذا الشاش الأبيض الموجود حول عينيها
:ايه دا
قالها بتوتر ليطمئنها أكرم
:اهدي يا حورية أنتي كويسة متخافيش
:ايه اللي على عيني ده
أجابها سامح بسعادة
:أنتي عملتي العملية وهترجعي تشوفي

اتقبض قلبها بخوف
:ومين أدلكم الحق أنكم تقرروا بالنيابة عني أنا مش عايزه أعملها
صرخت بها ليندهش الجميع من انفعالها المبالغ ليجيبها سامح
:حورية يا حبيبتي أنتي خلاص هترجعي تشوفي
:ومين قالك إني عايزه أشوف ....أنا مش عايزه أشوف حد
:أنتي بتقولي ايه يا حورية
قالها سامح بتعجب لتصرخ هي بالجميع
:اطلعوا برا .... برا مش عايزة حد هنا بررااا
صرخ أكرم بالممرضة يستعجلها بحقنة مهدئة
أعطاها إياها سريعا لتغرق بعدها في ثبات عميق
تحت أنظارهما المتعجبة..... اتجه الاثنان للخارج
استند سامح على الحائط بإرهاق
نظر له أكرم بتساؤل
:شكلك منمتش
:فعلا
:هو..... يعني أنت وحورية مخطوبين بقالكم قد ايه
:من يوم ما اتولدنا واحنا لبعض ... احنا ولاد عم
:مش يمكن أعذرني يعني حاسه إنها اتسرعت في موضوع الارتباط
:فاهم قصدك .... بس اللي متعرفهوش إن يوم خطوبتنا سألتها نفس السؤال
إنها ممكن تكون اتعودت على وجودي حواليها طول الوقت مش أكتر
:وقالتلك ايه؟!
سأله أكرم بلهفة
:قالتلي إني أكتر حد حبته في حياتها وإني بالنسبالها بقيت كل حاجة ومش عايزة إننا نبعد عن بعض أبدا
:طب وأهلها كان رأيهم ايه؟
:عمي مات وحورية لسه ١٥ سنة و مراته حصلته بعدها بأربع سنين, من وقتها وحورية عايشة معانا في البيت ووالدتي اللي ربتها وكبرت قدامي
..... يمكن عشان كده أوقات كتير بحس إنها مسئولة مني وإنها زي بنتي
.... عشان كده مستغرب تصرفاتها دلوقتي ومش قادر أفسرها

ابتلع أكرم تلك الغصة بحلقه,
يشعر أن حبه لحورية الآن أصبح محرم عليه,
يبدو أن سامح هذا يحبها حقا,
لكن هل هو يحبها بذاك القدر الذي يحبه لها سامح
لا يهم الآن من يحبها
بل الأهم هي ....من تحب؟
:صحيح يا دكتور فيه حاجة مهمة حصلت لازم أقولها
:ايه هي؟
:في حد غريب اتصل بيا وقالي أخلي بالي على حورية طول ما هي في المستشفى .... كأنه كده بيحذرني من حاجة بس مش فاهم ايه هي؟!
اندهش أكرم وعقد حاجبيه بتعجب!!
:مين ده؟!
:لما سألته عن اسمه قفل ومردش
:مقالش حاجة تاني
:لا
:ده شكل حد بيستخف دمه معاك سيبك منه
قالها أكرم ولكن في قرارة نفسه لم يكن مقتنع بتلك الفكرة
هو أيضا أخذ عقله يتساءل من يكون ذلك الشخص؟!
ولم يفعل ذلك من الأساس
:بس أنا كان عندي سؤال يا دكتور
:اتفضل
:أنت ليه بتعمل كده مع حورية .... يعني ايه دكتور قدامه مريضة مش عايزة تعمل عملية هيسبها ويلاقي ميت مريض غيرها ..... ليه تخاطر بشغلك وتعمل عملية من غير ما المريض يعرف
:بس أنت كنت عارف وأخدت رأيك
:بس هي مكنتش عارفة وده كان ممكن يعملك مشكلة
كان في سؤال سامح معني خفي لإجابة يود أن يسمعها من أكرم
لكن يبدو أيضا أن أكرم أذكى مما توقع

:إنقاذ حياة الناس مفيش فيها استئذان ... وأنا دكتور وشايف قدامي مريضة فاقدة الأمل وهتضيع عمرها فمقدرش أسيبها ولا أنت شايف ايه
ثواني مرت في صمت ليجيبه سامح ببرود
: صح
يبدو أن الشك بدأ ينهش بقلب سامح
ويجب علي أكرم توخي الحذر
***
اتجه أكرم إلى المكتب ليجد خالد هو الآخر يجلس بإرهاق بعد أن انتهى للتو من عملية جراحية
:ها عملت ايه؟
: صحيت وبتعيط عشان عملت العملية
:وخطيبها ؟
قالها وكأنه يذكره أنها مرتبطة لينظر له أكرم بغل
:على فكرة خطيبها قالي حاجة غريبة
:ايه هي؟
:في حد اتصل بيحذره من وجود حورية في المستشفى
:بيحذره !!..... ليه يعني ايه اللي هيحصلها .... وبعدين حد مين ده
ما إن أنهى خالد تساؤلاته
لتدخل بتلك اللحظة عايدة وهي تبحث عن طارق
ليجيبها خالد أنه الآن بغرفة الأشعة
نظر أكرم لخالد بتفكير ليسأل الأخير
:تفتكر؟!
:ليه لا
:وهيستفيد ايه؟!
:اللي زي دول مش مهم عندهم الاستفادة ... الأذى حاجة كده بتجري في دمهم
:ربنا يكفينا شرهم .... خلي بالك يا أكرم
:ربنا يستر .....وأنت كمان خلي بالك ..... فكرة إنك تدخل معاه العمليات دي مش هتعدي بالسهل

متقلقش أنا بعرف أتصرف معاه:
***
حل الليل على شواطيء الإسكندرية
يقف خالد أمام شاطيء البحر ومازالت تلك الكوفية الزرقاء القصيرة تلتف حول رقبته
ينظر إلى أمواج البحر التي تتصارع مع بعضها في تحطيم تلك الصخور
وكأنه يرى ما يحدث بقلبه يتجسد أمامه الآن
تلك المشاعر المختلفة التي تتصارع معا بقلبه الآن
أما هو يقف ليرى من الفائز بآخر المعركة
يخشى ألا يفوز أحد بالأخير ويصبح بالنهاية شخص خالي من المشاعر..... إنسان بلا روح
لا يعلم ظهور تلك الفتاة هل هو نعمة أم نقمة؟
***
طوال اليوم وهي وحدها تتألم في صمت ... تبكي في صمت .... تلملم جروحها في صمت
وهل لك الحق في شيء غيره؟
من المفترض الآن أنه على وشك الوصول لا تعرف ماذا ستفعل أن رأته تقتله؟؟ .... لا هي أجبن من ذلك..
تهرب؟؟ .... حاولت ذلك مرار وتكرارا وكانت النتيجة دائما تنتهي بالفشل
يا الله أعطيها القوة للصمود حتى تنتهي من هذا العذاب
ساعات وساعات مرت ولم يأتي
ترى أيشعر بالذنب لما فعل لذا يخشى أن يريها وجهه!!؟
ضحكت على تفكيرها الساذج
حمقاء أنتي يا تولين .... ذنب!!... من الذي يشعر بذلك... يزيد!!
تلك المشاعر لمن يملكون قلوب بين ضلوعهم يا عزيزتي
لكن ....هل ليزيد قلب من الأساس؟؟
دائما ما تسأل نفسها هذا السؤال
حتي يأتي هو ويجيبها بأفعاله الشنيعة لتتأكد من إجابتها
ظلت على هذا الحال تجلس على الأريكة بإرهاق حتى غفت في ثبات عميق

أما هو كان يجلس بأحد الملاهي الليلية يسترجع أحداث تلك الليلة المشؤومة لما فعل بها هذا أي ذنب ارتكبت
يعلم جيدا أنه لا دخل لها بما حدث
لكنه أراد أن يثبت لها قبل نفسه أنها ملك له وحده فقط
وبالأخير ما النتيجة جعلها تكرهه أكثر من قبل
نعم يعلم أنها تكرهه وتخشاه
وهو يسعد بذلك يظن أنه كلما زاد الخوف زاد السجن قيود وتظل هي خاضعة له
لا يعلم أنه كلما زاد الخوف زاد الكره
اقتربت منه إحدى الفتيات كانت مثيرة بحق, أعطته كاسا من الشراب ليتناوله هو دفعة واحدة لتبتسم الفتاه بانتصار نظر لها وهو مغيب ليتخيلها ويهمس باسمها..
:تولين
تعجبت الفتا من الاسم لكنها ابتسمت ....بالأخير لا تهم الأسماء الآن
واقتربت منه أكثر وهي تحتضنه ليرحلا معا سويا للخارج
***
عاد إلى منزله وهو يفكر في خلق أي حديث معها لكن ما هي المناسبة تذكر تلك الكوفية حول رقبته
حسنا حسنا ..... هيا يا خالد تشجع
أخذ نفسا عميق واتجه نحو باب منزلها ودق الباب دقات سريعة مرتجفة
انفتح لتقابله بابتسامة بسيطة
كان أول شيء استقبله هو رائحة القهوة المانو المحببة إليها وبالطبع صوت فيروز
:أهلا يا دكتور
:أهلا آنسة ريما اتفضلي
مد لها يده بتلك الكوفية
:خليها معاك لو لسه تعبان
:لا خلاص أنا بقيت كويس ... متشكر أوي

كاد أن ينصرف لكنها طلبت منه الانتظار رحلت من أمامه تحت أنظاره المتعجبة ثم عادت وهي تحمل ظرفين وتعطيه إياهم

:أنا عندي مرسم صغير كده للوحات قريب من محطة الرمل هيفتح آخر الأسبوع و دول كارتين دعوة

ابتسم وهو يجيبها بتساؤل

:طب الكارت ده ليا التاني لمين؟

:كان في حد شوفته معاك هنا مرة لما اللوح وقعت مني قدام الباب

:اه ده أكرم دكتور زميلي هينبسط أوي بالدعوة متشكر أوي

:العفو

:تصبحي علي خير

:وأنت من أهله .... عن إذنك

أغلقت الباب ليقفز هو بفرح كالأطفال, ثم نظر حوله إذا كان قد لمحه أحد وهو يقفز هكذا ستضيع هيبته وسط العمارة بأكملها

اتجه سريعا نحو شقته ليدخل ويلتقط صورة ندى ويدور بها كأنه يرقص معها ليعلو صوت جارة القمر مرة أخرى من الشرفة.

عندي ثقة فيك

عندي أمل فيك وبيكفيك

شو بدك يعني أكثر بعد فيك؟

عندي حلم فيك

عندي وَلَع فيك بيكفيك

شو بدك إنه يعني موت فيك؟

***

«القمر السابع»

بكندا حل فجر يوم جديد لم يستطع عابد النوم كعادته منذ أن رآها اخر مرة
وهي ذاهبه مع زوجها لا يعرف الي اين لم تغيب صورتها عن قلبه
ارتدي ملابسه سريعا قرر أن يراها الان وبأي طريقه
ركض سريعا إلى أسفل

أخذته قدمه نحو طريق منزلها الذي يحفظه عن ظهر قلب
ظل يتطلع الي شرفة منزلها لكنه لم يراها حتى انوار المنزل جميعها مظلمه
لا يعلم من اين أتته تلك الجرأة ليطرق باب المنزل
كانت نائمه على تلك الكنبة الصغيرة كما هي منذ الصباح
تعجبت عندما سمعت تلك الطرقات
غريب يزيد يملك المفتاح لما يطرق الباب إذا
الاغرب أنه يغلق الباب دائما بالمفتاح ويأخذه معه
كيف ستفتح له
اتجهت لتنظر من العين السحرية
اتسعت أعينها في دهشه
عابد!!
غبي!!!
كيف يجرؤ
حدثته من خلف الباب بخوف
: عابد ... كيف وصلت لهون روح قبل ما يشوفك الحارس
: الحارس مش موجود افتحي الباب عايز اشوفك
تعجبت من عدم وجود الحارس لكنها لم تهتم
: انت بتعرف يزيد بيسكر الباب كل ما يطلع
: طيب بصيلي من الشباك
اتجهت نحو نافذة صغير بجانب الباب تطل على الشارع
فتحتها ونظرت له من خلالها كانت كافيه فقط لأن تخرج كفها
: تولين وحشتيني
: عابد اشتقتلك كتير
اخرجت كفها ليلتقطها بلهفة
اما هو فقبل كفها قبله رقيقه ارتعشت لها قلبها
: عمل فيكي ايه
سألها بلهفة لتدمع أعينها بحزن
: عابد انا بدي اطلع من هون ... بدي ارجع ع بلدى بترجاك ساعدني

شعر بخوفها يمزق قلبه الي أشلاء
: عمل فيكي ايه احكيلي
: بترجاك عابد ما بدى احكي بس ساعدني اطلع من هون
: هطلعك يا تولين ساعتها محدش هيقدر يبعدك عني
: بس كيف راح تطلعني
: اسمعي .....
بدأ يشرح لها عن كيفية خروجها من هنا دون علم يزيد
وهي تستمع بلهفة تتمني ذلك اليوم الذي تخرج فيه من هذا السجن وتحصل على حريتها
***
تقف امام المراه تتحسس ذلك الشاش الطبي الملفوف حول عينيها
صحيح انها لا تريد ان تري العالم مرة أخري
هي كحمامه السلام التي قتلتها نفوس البشر الجشعة
وعلي الرغم من ذلك تحسست الشاش الطبي بخوف وتوتر بدأت في إزالته تدريجيا حتى انتهت
ظلت مغمضة عينيها لا تريد أن تفتحها
مشاعر مختلطة تلفها الان
شعور بالفرحة أنها لن تشعر بالعجز أو النقصان مرة اخري
وشعور بالخوف لأنها ستعود لذكري حاولت الهروب منها طوال الأيام السابقة
بدأت في فتح عينيها تدريجيا ببطء
: حورية
قالها أكرم بتوجس ازدرد ريقه وهو يراها تنظر له
: دكتور أكرم .... اا... انا شايفة
قالتها بسعادة لم تخلو من الخوف
كاد أن يركض اليها ويحتضنها لكنه عاد لرشده بأخر لحظه
توقف وهو ينظر لها بحب ويسألها
: حاسة بإيه دلوقتي
: مش عارفة .... خايفة .... مبسوطة .... مش عارفة ... مش عارفة

: لازم تكوني مبسوطة .... انتي هترجعي لحياتك
: حياتي مكانتش حلوة زي ما انت متخيل .... حياتي اتشقلبت في لحظه
: بقا عندك القدرة دلوقتي أنك تصلحيها
: مش كل الي انكسر بيتصلح .... ساعات بيترمي
: خلاص ارميه
: تفتكر هقدر
: انتي قدها
: جايب الثقة فيا دي منين ..... ده انا كنت خايفة اعمل العملية رغم أنك كنت دايما بتأكدلي انها بسيطة
: وقتها مكنتيش شايفة لكن دلوقتي الوضع اختلف
: دكتور أكرم .....
: نعم
: انت بتحبني؟؟
تفاجا من سؤالها هذا
اخر شيء قد يخطر على باله الآن أن تسأله هذا السؤال
: أكرم ....
نادته بصوت خافت ارتعش له قلبه
ماذا تريدين أن أُجيبك الان يا حورية
أن اخبرك....
انني احبك.... أنني لا أستطيع العيش بدونك
أنني منذ أن رايتك اول مرة صرت احسب ايام عمري
بعد أن كنت شخص لا يكترث الا للحظه التي يعيشها الان
لقد كنت كالجبل لا تهزه الرياح أو تؤثر به الأمطار
جيئتي انتي وشققتي بحبك كهف صغير أنار ظلمه قلبي
نعم احبك ولكن اعلم انكي بعيده تماما عن عالمي
انا كموج البحر الهادر وانتي نجمه تتلألأ في سمائه لا يملك منك سوي ان يري ضوئك من بعيد ليحدث ضجيجا مع الصخور على شاطئه لأنه سعيد برؤيتك اليوم
: لا ....

قالها ببرود أجاد تمثيله
لكنه تفاجأ بسرعة اجابتها كأنها كانت تعلم رده
: كذاب
: نعم
: ايوا كذاب يا دكتور
: انتي عايزه ايه
قالها وهو يوليها ظهرة يخشى أن تفضحه عيناه
: عايزه اسمعها منك
: هي ايه
: أنك بتحبني
كاد أن يجيبها بلا
لتردف هي سريعا وهي تجعله ينظر إليها مره اخري
: متقولش لا... مش محتاج تقولها عشان اعرف كفايه إني كنت بحسها في كلامك في خوفك عليا لما كنت برفض اعمل العملية وشايفاه دلوقتي في عينيك ... عينيك الي بتداريهم عني عشان مشوفش فيهم حبك
: انتي جبتي الكلام ده منين
: من قلبي واتمني أنه يوصل لقلبك
: انتي اتجننتي انتي مخطوبه
: مش بحبه
: وبتحبيني انا ؟
: ايوا
: ازاى وانتي اول مرة تشوفيني دلوقتي
: الانسان مش محتاج لعيون عشان يشوف الحب الإنسان هنا محتاج قلب بينبض ويحس
: لكن انا بحب واحدة تانية ومقدرش احب غيرها عن اذنك
قالها والجفاء ملئ صوته ليرحل بعدها ببرود
تركها مصدومة وعيناها قد اغشاها الدمع
كيف؟!
كيف يرفض حبي له

كيف يضرب بمشاعري عرض الحائط هكذا
مشاعري الغالية الثمينة كيف يلقياها خلفه دون اهتمام
كيف آتته الجرأة أن يجرح كرامتي بهذا الشكل
اقسم لك يا أكرم أن اجعلك تندم عن فعلتك تلك في أقرب فرصه
***
في الصباح يوم جديد يطل على عروس البحر المتوسط وبأحد الاماكن الهادئة المطلة على الشاطئ يجلس سامح بمفردة
برأسه تتصارع العديد من الأفكار
ظل شاردا لدقائق ليظهر أمامه فجاه اخر شخص يتمني وجودة ليس الان بل بحياته بأكملها
: سامح
قالتها دينا تلك الفتاه الطويلة السمراء الذي يميزها شعرها الاسود القصير كالفتيان وذلك القرط الصغير اللامع المعلق بأنفها
: انتى ايه الي جابك هنا
: وحشتني
: انتي مبتزهقيش
قالها سامح بحده
: بقالي مده بحاول اوصلك مش عايز ترد عليا
: ودة ما لفتش نظرك اني مش عايز اشوفك ابدا في حياتي
: سامح انا بحبك
: وانا للمرة المليون الي اقولك فيها مبحبكيش وابعدي عني وبطلي تتصلي عليا
: طب ادي نفسك فرصة تسمعني
: انتى مش مكسوفة من إلى بتعمليه
: هو الحب عيب
: لا الحب مش عيب لكن عارفة ايه هو العيب إلى بجد إنك تفضلي تجري ورا واحد عشان يحبك وهو مش عايزك وترمي نفسك عليه هو ده العيب يا دينا
: كل ده عشان حورية

صرخت بها بوجهه ليقابلها هو الآخر بصراخ
: دينا كلمه زيادة وهتصرف معاكي بطريقة مش هتعجبك ابدا
: سامح انت لو ركزت هتلاقي أن حوريه محبتكش قد الحب إلى انا حبتهولك ..... حورية اتعودت علي وجودك في حياتها بس
: وانا بحب حورية يا دينا .... ومش هقدر أدى قلبي غير ليها
: هتندم في يوم على حبك ليها يا سامح ..... صدقني
: يبقي ساعتها انا إلى اخترت يا دينا
: ده اخر كلام عندك
: ايوا
: ماشي يا سامح ..... بس صدقني هيجي اليوم الي تتمني فيه انا ارجعلك تاني
رحلت من أمامه وتركته
كانت تحاول جاهدة منع الدموع التي ملأت عينيها من أن تخونها وتسير علي وجنتيها
بينما حاول هو ان يهدأ لكن دون فائدة ثواني ليرحل هو الآخر وبداخله شحنه غضب حاول تفريغها طوال الطريق
***
استيقظ بخوف كان العرق يتصبب من جميع أنحاء جسده
حلم غريب لا يفهمه
ندى بهيئتها الملائكية كانت تسحبه من يده نحو عالمها الطاهر ليجد نفسه فجأة تم تقيده بأغلال وشخص غريب يسحبه بعيدا عنها كان يصرخ باسمها وهي تحاول مد يدها له بأقصى درجه دون فائدة لم يستطع أن يتبعها وهي لم تستطيع أن تسحبه نحوها ليتبخر فجاه جسدها في الهواء كأنها لم تكن
يا الله ما تفسير هذا الحلم يا ترى
تلك هي المرة الثانية التي تظهر بها ندى خلال فتره قصيره
بالتأكيد تحاول إرساله رسالة ما له .... لكنه لا يفهم
هل هي غاضبه منه بسبب قربة لريما
هل تظن أنه لم يعد يتذكرها
الا تعرفين أنك متربعة على عرش قلبي منذ زمن يا ندى

اااه يا الله لما لا تخبريني بشكل صريح ما تريدين البوح به
لقد سئمت من تلك الالغاز تعلمين انني لست بارعا بها
ظل يفكر للحظات حتى خطر على باله أكرم
: الو ايوا يا أكرم انت في المستشفى مش كدة
: لا انا قاعد مع عم حليم
: انا جايلك حالا
اغلق معه الخط واتجه يرتدي ملابسه في عجاله
كان يجلس أكرم مع عم حليم لكنه يجلس بجسده فقط أما عقله شاردا بمكان اخر
: افرد وشك يا واد يا أكرم انا مبحبش الكأبة
: حقك عليا يا عم حليم انا بس تعبان شوية
: جتكم الهم جيل خايب مش طالعين لعمكم حليم ده انا في شبابي مكانش فيه حاجه تقدر تعكنن عليا الا اما أحلها
: يا ريتنا كنا عايشين في زمانك يا عم حليم
: كنت هتبقي خايب بردو
: هههههه ..... خلاص علمني
: استنوا متبدئوش دلوقتي انا عايز اسمع
قالها خالد الذي وصل لتوه ليشاركهم الحوار ليردف
: وحشتني يا راجل يا طيب
: بس يا بكاش وانا لو وحشتك كنت تسأل عليا القهوة مش بعيدة
: حقك عليا وادي راسك
قبل رأسه بحب ليبتسم عم حليم ويربت على كتفه
: احكي بقا يا واد يا أكرم مالك
بدأ أكرم يحكي ما حدث بينه وبين حورية ليستمع خالد وعم حليم بإهتمام
***
تجلس بصاله منزلها تنهي بعض الاشياء استعدادا لاستقبال الزوار بأول يوم افتتاح للمرسم
وضعت ام كريمة بجانبها فنجان القهوة المانو
: تسلم ايدك يا ام كريمة

: بالهنا والشفا على قلبك يا ست ريما
: صحيح يا ام كريمة انا عندي سؤال عايزه اسئلة ليكي من زمان اوي
: قولي يا بنت الغالي
: انتى اسمك الحقيقي ايه
ابتسمت ام كريمة بحنين وصمتت ثواني كأنها تسترجع ذكريات قديمة ببالها لتجيب اخيرا بشجن
: ازهار
ابتسمت ريما كأنها اكتشفت اخيرا سر من اسرار الكون
: اسم حلو اوي
: ايووووه عليكي يا ست ريما فكرتيني بالذي مضي
: الي هو ايه بقا
: المرحوم الله يرحمه
: هو ميت بقاله قد ايه
: من وكريمة عندها أربع سنين
: يااااه كانت صغيرة اوى .... وانتي كمان كنتي صغير طب ليه مفكرتيش تتجوزي تاني
: يعني هناخد زمنا وزمن غيرنا
: زمن ايه بس يا وليه ده انتي لسه صغيره وزي القمر طب جربي كده تغيري الاسود ده وتلبسي ألوان مطرقعة والله هتلاقي طوابير عرسان
: يا ندامه انا اغير الاسود ده كان المرحوم يزعل مني ..... والمرسى ابو العباس انتي فايقة يا ست ريما
ضحك الاثنان بسعادة
لتطلب منها ريما ان تقوم بتشغيل المسجل وترفع الصوت
حيث يعلو صوت فيروز بالمكان كالعادة
مدت ريما يدها لتتناول قهوتها لتفزع فجاه
يالهي ما هذا
قطرات دماء على يدها من أين جاءت
شعرت بسائل دافئ أسفل أنفها تحسستها بيدها
إن تلك القطرات منها هي

جاءت لتنهض سريعا ليداهمها ذلك الدوار مره اخري ولكن بشكل شديد لتسقط فاقدة للوعي
انتبهت ام كريمة لصوت هذا الارتطام لتجد ريما خلفها تفترش الأرض وهي غائبه عن الوعي
: ست ريما ..... ست ريماااا

هيدي عم بحكيلك قصّة بشعة كتير
وحلوة كتير..
بس هيك بتصير، عن حالي
هيدي قصة معقولة كل يوم تصير
وبتصير كتير..
واسمعها أرجوك، كرمالي
***

«القمر الثامن»

تجلس تتذكر كل كلمة قالها عابد ..... عابد هذا الشاب بالنسبة لها هو طوق النجاة الذي أرسله الله لها كي يساعدها على تحمل كل هذا العناء الذي لاقته في حياتها.
تتمني أن تنجح خطته لتهرب من هذا السجن وسجانه معدوم الضمير
استمعت لصوت المفتاح وهو يتحرك داخل الباب

علمت أنه قد وصل ليدب الرعب أوصالها وينكمش جسدها لتحاوطه بيدها كأنها تبثه الأمان
لقد تغيب عن البيت ليوم كامل
يوم واحد فقط كانت تتمنى أن يختفي لسنوات بلا عودة
مر من جانبها بصمت .....لم يلتفت لها حتى
تسلل إلى أنفها رائحة الخمر القوية لدرجة أنها كادت أن تقيء
صعد يزيد إلى غرفته في صمت ما أن فتحها عادت إليه ذكرى تلك الليلة المشؤومة بينهما
نعم هي ليست المرة الأولى التي يقترب منها بهذا الشكل لكنها المرة الأولى التي يحصل عليها بتلك الوحشية
ألقى نفسه على الفراش بإرهاق تذكر تلك الفتاة التي قابلها بالبار ليتذكر
عندما وصل معها إلى منزلها ظن أنه بذلك سينسى تولين ولعنتها على قلبه,
لكن الغريب أنه لم يستطع أن يقترب منها حتى وجد نفسه يلقيها أرضا وهو يلعنها ليهرب سريعا من هذا المكان...
أغمض عينيه بألم وهو يردد
أكرهك يا تولين أكرهك
أكره قوتك ، ضعفك، دموعك ، ضحكتك
وأكره روحي لأنها عانقت روحك
***
:ليه عملت كده
:عشان بحبها
:صبرني يا رب
قالها خالد بغيظ لأكرم
ليطلب منه عم حليم أن يكمل بهدوء
:لأنها مش بتحبني .... حورية دلوقتي مشاعرها متلغبطة بعد ما رجعت تشوف تاني .... ولأن أنا السبب في ده هي وهمت نفسها إنها بتحبني ... لكن الحقيقة إنها بتحب خطيبها ... هي دلوقتي مش شايفه ده لكن مع الوقت ولما ترجع لحياتها تاني هتنساني تماما وتنسى أي مشاعر كانت حساها نحيتي

:وحياة أبوك بلاش فلسفة وكلام فاضي.
:دي مش فلسفة دي الحقيقة .....الواحد مش لازم دايما يمشي ورا عواطفه في أوقات لازم نتصرف فيها بعقل.
:بس أنت بتحبها يا ابني
:وعشان بحبها لازم أبعد عنها
:هتقدر؟؟
:هحاول يا عم حليم ..... هحاول
:طيب عن إذنكم أنا بقى لازم أروح المستشفى ... أه صحيح يا أكرم ريما بعتالك الدعوة دي افتتاح المرسم بتاعها أخر الإسبوع
:ريما مين ؟؟!
:جارتي اللي ساكنة قدامي
:لا والله ... ده أنتم بقيتوا أصحاب بقى!
:اخرس يا أكرم وخليك في خيبتك
:حاضر يا سيدي .... وأنت رايح طبعا صح أحسن تزعل منك ولا حاجة
قالها أكرم بسخرية ليجد وجه خالد قد ظهر عليه الضيق ليردف هو
:خلاص.. خلاص يا عم بلاش البصة دي
كاد خالد أن يرحل لكنه تذكر شيء ما ود أن يخبر صديقه به
ليربت على كتف أكرم بإصرار
«اذهب حيث يرتاح قلبك يا صديقي»
***
اتجه كلا من سامح ووالده لغرفة حورية
وجداها تقف شاردة أمام الشرفة الصغيرة بالغرفة
:حورية
قالها سامح لتلتفت له حورية ابتسم بسعادة عندما لم يجد ذلك الشاش الأبيض حول عينيها
ركض إليها بسعادة ليحملها ويدور بها الغرفة بأكملها وصوت ضحكات والده العالية
:سامح نزلني مينفعش كده
:بحبك بحبك أوي يا حورية

نظرت له حورية بحيرة
:ألف مبروك يا بنتي ... أما الدكتور ده طلع شاطر بصحيح
:فعلا شاطر أوي
قالتها بسخرية بعد أن أنزلها سامح لتردف بضيق
:أنا عايزة أخرج من هنا أنا زهقت من المستشفى دي
:حالا هنزل أنا وبابا نخلص الحساب وأنتي جهزي حاجتك عشان نرجع البيت
:بس أنا مش هرجع معاكم
نظر كلا منهما إليها باندهاش
:ليه يا بنتي حد منا داسلك على طرف
جرت أمامها عدة مشاهد مختلفة لم تنساها أبدا
كانت تلك المشاهد رفيقتها طوال رحلة علاجها السابقة
كانت تمدها تلك المشاهد بالضعف وقلة الحيلة
لكن وبعد حديثها مع أكرم تلك الليلة وجرحها العميق لكرامتها
قررت بداخلها أن ذلك الضعف ستدعس عليه بقدمها بلا شفقة ولن تعود له مرة أخرى
:حورية اتكلمي
قالها سامح بنفاذ صبر لقد تحمل منها الكثير طوال الفترة السابقة
معاملة غريبة
وتصرفات أغرب لا تفسير لها
والآن قرار أحمق لا يفهمه
:سامح من فضلك احترم قراري
:قرار إيه دا إن شاء الله عايزه تبعدي عننا وتقوليلي قرار ... ده احنا كنا المفروض دلوقتي متجوزيين
:وده القرار التاني ..... احنا مش هنتجوز
:نعم ياختي
:سامح من فضلك اسمعني .....
:اخرسي يا حورية عشان متعصبش عليكي
قالها وهو يمسح على شعره يحاول تهدئة أعصابه من تلك الحمقاء

:استهدي بالله يا بنتي ولمي حاجتك وتعالي معانا ونتكلم في البيت مش هنا
قالها والده لتومئ هي برأسها بإيجاب
نظرت بعينيها نحو سامح لكنها تكاد تقسم أنها رأت الجحيم بأكمله داخل عينه
تعلم تلك النظرة جيدا.... نظرة تخبرها بأن القادم لا ينذر بخير
أنهوا جميعهم إجراءات الخروج لتذهب حورية مع عمها إلى البيت دون سامح الذي أخبرهم أن هناك شيء مهم يجب أن ينهيه
نظرت له حورية بقلق وهو يرحل
وبرأسها تدور ألاف السيناريوهات السيئة التي يمكن أن تحدث
***
استيقظت ريما بتعب كانت تفتح عينيها شيئا فشيئا نظرت حولها لتجد أنها بغرفتها
:الحمد لله يارب أخيرا فوقتي يا بنتي ده أنا كنت هموت من الرعب عليكي
:إيه اللي حصل؟
:فجأة وقعتي من طولك وخضتيني عليكي صرخت وجارتك فوق سمعتني جت ساعدتني وشالتك معايا, كنت هطلبلك دكتور بس هي قالتلي إنها كانت ممرضة وإن اللي حصلك ده عشان ضغطك واطي
:هي الساعة كام
:٦ المغرب
:طيب روحي أنتي يا دادا وأنا شوية وهنزل وهبقى أروح الدكتور
:خلي بالك من نفسك يا بنتي
:متقلقيش عليا أنا هبقى كويسة
تركتها أم كريمة وحدها لتتذكر تلك الدماء التي كانت تسقط من أنفها
كان الشك ينهش قلبها بشيء ما لتتخذ القرار.... ستتأكد من شكوكها غدا
***
كانت تصعد السلالم في الخفاء تتلفت حولها بخوف
حتى دلفت المنزل
:كنتي فين يا بت
شهقت كريمة بفزع وارتفعت دقات قلبها

:أأأ...أانا...أنا هكون بعمل إيه يعني كنت عند البت ورد بجيب البضاعة
نظرت والدتها إلى يدها الخالية
:هي فين البضاعة دي
لعنت كريمة غبائها بتلك اللحظة
:ها.. ما أنا ملقتهاش
اقتربت منها والدتها ببطء لتصفعها بعنف فتسقط هي بألم
:كنتي فين يا بت وإياكي تكذبي عليا
حاولت كريمة النهوض لتجذبها والدتها من شعرها وهي تردف
:انطقي كنتي فين
:وأنا هكدب عليكي ليه ياما بس قولتلك كنت عند ورد
أجابتها كريمة وهي تبكي بألم
:وإن قولتلك أني لسه شايفة ورد وأمها في الطريق وسلمت عليهم و ورد
:قالتلي إنها مشافتكيش بقالها شهر
اتسعت عين كريمة بخوف
أيعقل أن تنكشف خطيئتها؟!
ماذا سيحدث لها أن انكشفت .... ستدفن حية بكل تأكيد
خلعت أمها حذائها لتصفعها به وهي تصرخ
:انطقي يا بت كنتي عنده صح..... صح
كانت كريمة تحت يدها تصرخ من الألم
:انطقي يا بت انطقي كنتي عنده بتعملي ايه .... انطقي فضحتينا
ظلت تصفعها مرات ومرات دون توقف لم تنتبه إلى وجه ابنتها الذي أصبح أحمر كالدماء من كثرة الصفعات التي تلقتها
وبعد الكثير من الصراخ والصفع انتبهت إليها أخيرا نظرت لوجه ابنتها لتجدها غائبة عن الوعي بوجه شاحب
***
كان يجلس على مقعد خشبي بدون ظهر أمامه تلك اللوحة البيضاء وبيده قطعه خشب على شكل دائرة وضع عليها العديد من الألوان واليد الأخرى بها تلك الفرشاة الصغيرة
تلك هي هوايته التي لا يعلم عنها أحد حتى صديقه خالد لا يعلم عنها شيئا

ربما أراد أن يكون له عالم خاص لا يوجد به أحد غيره هو وتلك اللوحات
كان قد أخذ عهد على نفسه أنه لن يفكر بها هي ليست له..... طريقهما في الحياة ليس واحدا
لن يجمعهما القدر أبدا كفى يا أكرم كن رحيما بنفسك هي خلقت لسامح هو يستحقها أكثر منك
أنت لا تؤمن بالحب .... لا تؤمن بتلاقي الأرواح ..... لا تؤمن بلغة العيون والعاشق الذي يرى معشوقه فتفضحه عيناه
كل هذا هراء
أمسك بالفرشاة دون إرادة منه وجد نفسه يرسم شيء ما
ظل يرسم دون وعي حتى بدأت ملامح الصورة تظهر شيئا فشيئا
نظر للوحة أمامه بصدمة
إنها هي شعرها الذهبي عيناها العسليتان يملأهما الحياة وشفتيها الحمراء كالكرز
حورية ... وهي حقا حورية
حورية بحر خرجت من ظلمة المياه لتسحب نور حياتي نحوها وتجذبني معها دون إرادة مني
لا لا لا يا أكرم ... عد إلى رشدك كفاك ما حدث
أخرجه من حديثه هذا صوت جرس الباب
اتجه ليفتح وكان آخر شخص يتوقع أن يلقاه هنا
سامح !!:
فاجأه سامح بلكمة قوية جعلته يقع أرضا ليظهر خط دم أحمر بجانب فمه
أه سامح .... إلا قولي يا دكتور هو إيه رد فعل شاب زينا لما حد ياخد منه خطيبته؟:
فهم أكرم ما يعنيه بكل سهوله لينهض سريعا
كان يظن سامح أن أكرم سيرد له اللكمة لكنه لم يفعل
على الرغم من قوة أكرم البدنية وهيئته الرياضية إلا أن سامح يتفوق عليه جسمانيا
أنا مش فاهم أنت بتتكلم عن إيه ... وعرفت عنواني منين:
أمسكه سامح من ملابسه وظهرت جميع علامات الغضب على وجهه

:بجد مش فاهم .... حلو أفهمك .... إيه اللي خلى حورية تتغير معايا وتكره حتى تشوفني كدة فجأة .... لا وكمان تغير رأيها في موضوع جوازنا وأنا مالي بقى ومال كل ده:

:لإن أنت السبب ... أنا كنت حاسس إن فيه حاجة غلط بتحصل لكن كنت بكذب نفسي وأقول مستحيل أنا وحورية بنعشق بعض وكل ده بس بسبب حالتها النفسية لكن إنها تقول كده دلوقتي بعد ما نجحت العملية يبقى فيه حاجة غلط

:كل كلامك ده ولا ليه أي معنى ... أنا.. أنا بحب واحدة تانية وهنتجوز قريب ولو مش مصدقني استنى

اتجه أكرم إلى تلك الغرفة التي خصصها لوضع جميع لوحاته بها

سحب إحدى اللوحات الصغيرة بها رسمة لفتاة بيضاء بعينين بنتين وشعر أحمر ناعم طويل, كان قد رأى صورة تلك الفتاة بأحد المجلات الموضوعة على الرصيف ليعجبه مظهر الفتاة ويقرر رسمها

حملها واتجه بها إلى سامح يريه إياها

أهي هي دي حبيبتي وهنتجوز قريب صدقت إن كل اللي في دماغك دى خيالات

نظر سامح لها بتعجب!!

أكرم يحب فتاة أخرى

إذا ما سر التغير الذي طرأ على حورية فجأة هكذا

إن لم يكن أكرم يحب حورية ... هل تحبه هي ولا تستطيع أن تبوح له بهذا؟!

أتعلم أنه يحب فتاة أخرى وقررت الإحتفاظ بحبها بداخلها لهذا ترفض الزواج منه

أم أن هناك شخص آخر غير أكرم من الأساس

نظر لكرم بحرج..... قرر أكرم أن يرفعه عنه

:سامح .... حاول تقرب من حورية أكتر من كده .... حورية بتحبك أنت أكتر من أي حد تاني .... كل اللي هي فيه ده شوية اضطرابات بسبب الفترة الصعبة اللي أنتم الاتنين مريتوا بيها .... أنا متأكد إنك لو قربت منها واتكلمت معاها هتفهم حاجات كتير

نظر له سامح طويلا بصمت حتي قال
:هحاول .....هحاول....ومعلش بقى تعيش وتاكل غيرها
كان يشير إلى مكان تلك اللكمة تحسس أكرم مكانها بألم
:ما هي دي اللي بيسموها ضريبة المهنة
:هههههه ..... عن إذنك وسامحني مرة تانية
:ولا يهمك احنا شباب زي بعض وأنا فاهم
انصرف سامح ليتنفس أكرم الصعداء ويجلس أرضا خلف الباب بحزن
ليضرب رأسه بالباب عدة ضربات بغضب
كاذب يا أكرم كاذب
لينظر لتلك الغرفة التي كان يرسم بها وحمد الله سرا أن سامح لم ينتبه لتلك اللوحة.

زعلى طَوّل أنا ويّاك.. وسنين بقيت
جرّب فيهُن أنا إنساك.. ما قدرت نسيت
***

«القمر التاسع»

ركضت سريعا لطلب المساعدة من جارهم ذلك الطبيب الشاب الذي لبى ندائها سريعا
بمجرد أن رآها اتسعت عيناه ذعرا من هيئتها
جسدها المليء بالكدمات، آثار الدماء بوجهها الشاحب
ليدق الشك بابه ....

:إيه ده يا أم كريمة مين عمل فيها كده
:مش مهم دلوقتي ..... المهم شوفها مالها
قالتها بجمود عجيب
فحصها لثواني وداوى جميع جروحها وكدماتها
ظل صامت لا يعرف بماذا يجيب
لم يكن الأمر يستحق التفكير ليعرف من فعل بها تلك الإصابات
فالأمر بات واضحا
لكن الأهم الآن كيف سيخبر تلك السيدة بهذا الخبر والجميع يعلم أن كريمة غير متزوجة
:قول يا ابني بنتي مالها؟؟
:أنا .... أنا آسف يا أم كريمة بس لازم أقولك الحقيقة ... بصراحة
...بصراحة كريمة حامل
صدمة وكسره كبيرة أطاحت بها لتسقط أرضا تلطم وجهها وهي تصرخ بحسرة
:اهدي يا أم كريمة .... كل شيء هيتحل
:ليه ... ليه ... ليه
هنا كانت قد بدأت كريمة تستعيد وعيها
لتركض أمها نحوها وهي تحاول جذبها من شعرها وتصفعها بكل مكان تطوله يدها
حاول ذلك الطبيب إبعادهم عن بعضهم بكل الطرق
نجح أخيرا بصعوبة أن يبعد والدتها بالخارج أما كريمة تركها وحدها بغرفتها وأغلق بابها عليها
:اهدي يا أم كريمة اهدي
:ليه يا بنتي ليه .... ليه تعملي فيا كده ده أنا ضيعت عمري كله عشانك تكون دي جزاتي .... يارتني كنت قعدت عليكي فطستك يوم ما ولدتك
ظلت تهذي بالكثير وهي تبكي لتنتبه لذلك الطبيب وهو يقف أمامها في موقف لا يحسد عليه...
هبطت نحو يده تقبلها ليتعجب من فعلتها!!!
:بتعملي إيه يا أم كريمة؟!

:ونبي يا ابني أبوس إيدك.. أبوس رجلك محدش يعرف حاجة
:بتقولي إيه طبعا محدش هيعرف
:كتر خيرك يا ابني .....كتر خيرك
:أنا لازم أمشي دلوقتي .... عن إذنك
:اتفضل يا ابني
خرج الشاب بحرج وهو يدعو الله أن يسترها عليهما
اتجهت أم كريمة لغرفة ابنتها وهي تنظر لها بحسرة وندم
كانت منكمشة على سريرها بخوف تلف يدها نحو جسدها وهي تبكي
اتجهت إليها والدتها بشر
:انطقي يا بت هو اللي عمل كدة صح.... انطقي
هزت كريمة رأسها بلى لتثور أمها عليها بغضب
:وكمان خايفة عليه خايفة عليه بعد ما ضيعك .... ضيعتي نفسك ..... عرف يضحك عليكي
ظلت تضربها ولم يكن بيد كريمة سوى أن تتوسل لها أن ترحمها
:انطقي هو ولا لا
:أيوا ..... أيوا
صرخت أم كريمة بغضب
:ماشي يا كريمة ورحمة أمي هجيبك وأجيبه تحت رجلي وأكلكم بسناني
قالتها لتخرج من المنزل بأكمله...
***
كان فرق التوقيت بين مصر وكندا يقدر بست ساعات كان وقت بزوغ الشمس
تأكدت تولين أن يزيد قد راح في ثبات عميق لتعطي إشارة لعابد من الشرفة أن يستعد صف السيارة أسفل باب منزلها
اختلس عابد نظرة أخيرة للحارس الغارق بالنوم بعد أن رش بوجهه ذلك المخدر
تملكتها الشجاعة لتحاول سرقة المفاتيح من جيب يزيد استطاعت إخراجها بسهولة, جاءت لتخرج من الغرفة سريعا فسقطت منها المفاتيح لتصدر

صوتا مرتفع حبست أنفاسها خوفا ونظرت سريعا ليزيد لتجده نائم كما هو
تنفست براحة لتجري سريعا نحو الباب..
كان عابد يتابع هبوطها على السلالم الداخلية من النافذة الصغيرة التي حدثها منها من قبل ليراها وهي تتجه نحو الباب ليذهب نحوه هو الآخر
كانت متوترة وخائفة بشكل كبير ظلت تجرب المفاتيح واحدا تلو الآخر دون فائدة جربت مرارا وتكرارا
حتى شهقت بخوف عندما وجدت من يمسك يدها يمنعها عما تفعل
:يزيد!!!
:لوين رايحه؟؟
:أانا.... أنا كنت ....
:بدك تهربي ...عن جد مفكره حالك بتقدري تهربي مني
:يزيد الله يخليك تركني روح أنا عن جد تعبت وما بقى فيني أتحمل
كانت تتحدث وهي ترتعش بين يديه
بالخارج كان يسمعهم عابد من خلف الباب ليضرب الباب بعنف عندما سمع صوت يزيد وهو يصرخ
:ما راح أسمحلك أبدا تروحي لأي مكان عم تفهمي أنا اشتريتك بالمصاري... أنتي ملكي أنا وبس يا تولين من يوم ما اتجوزنا وأنتي صرتي من ممتلكاتي بتنفذي يالي عم أحكيلك عليه وبس من دون نقاش جسمك صوتك ضحكتك دموعك إلي أنا وبس أنتي ملكي أنا وبس عم تفهمي..
ظل عابد يطرق الباب بعنف وهو يلقي يزيد بأبشع الألفاظ
اتسعت عين تولين بخوف
أكثر شيء كان يخيفها هو أن يلتقي يزيد وعابد معا
لأنها تعلم جيدا ما يمكن أن يفعله يزيد به..... تعلم أن يزيد لن يتركه حيا أبدا وعابد لم يفعل لها إلا كل ما هو طيب لا تريد أن يكون جزائه منها هو الأذى والألم
نظر لها يزيد بشر ثم فتح الباب ليقابله عابد بلكمة قوية لم تؤثر به
:عابد الله يخليك روح من هون
صرخت بها تولين ولكن لم يمهلهم يزيد لحظة للحكي فاتجه نحو عابد وظل يسدد له اللكمات واحدة تلو الأخرى

كان يحاول عابد تفادي اللكمات .... لكن يزيد لم يعطيه الفرصة كانت صرخات تولين تغطي على صوت اللكمات
رأت عابد على وشك فقدان الوعي لتتجه نحو يزيد وهي تبكي
:يزيد وحياة أغلى شي بحياتك تتركه ... مشان الله راح يموت وأنا مستعدة أعمل أي شي تقول عليه ... الله يخليك
نظر لها يزيد وهي تبكي ليشعر أن قلبه يتألم لقطرات الندى التي تسقط من عينيها
:أنتي أغلى شي بحياتي يا تولين
قالها ليسحبها من يدها خارج البيت
:تولين
هتف بها عابد بصوت خافت وهو يتألم ووجهه مليء بالكدمات والجروح نظرت له بحزن
:عابد بترجاك روح من هون وانساني
لم يستطيع يزيد السماع أكثر من ذلك ليسحبها خلفه سريعا وهي مسلوبة الإرادة ركبت معه السيارة ورحلا دون أي كلمة منهما طوال الطريق
صامتة مستسلمة لما سيحدث .... أيا كان فهو لن يكن ببشاعة ما عانته معه من قبل
ظل عابد يصرخ باسمها دون فائدة
ليدرك أن تولين رحلت للأبد...
***
كان يقف خالد في استقبال المشفى بإرهاق وهو يحتسي فنجان قهوته ويتابع بعض الأوراق
ثواني واستمع إلى صوت أهاااات عالية تأتي عند باب المشفى ليجد شاب صغير السن راقد على الترولي ومعه والدته التي تصرخ بفزع
:إيه الحالة؟
:وقع من على السلم
اقترب طارق منه
:معاك يا خالد
اتجه الاثنان إلى عيادة الكشف

تحسس خالد جنب المريض وهو يسأله عن موضع الألم ليصرخ المريض من جنبه بألم
:لازم نشيل الزايدة يا خالد
:لا
:نعم
:ده مرض سيكوسوماتيك
:أنت مش شايف بيتوجع ازاي
:اديله مسكن وهيبقى تمام
:وأنا بقولك لازم يدخل العمليات
:تمام ... براحتك دخله العمليات .... لكن أنا مش داخل... ومش مسئول عن اللي هيحصل
تركه خالد ورحل
ليأمر طارق بالفعل بتجهيز العمليات
كاد أن يبدأ لتدخل عايدة تسأله إذا ما كان يحتاج لمساعدة
:مساعدة إيه دي مجرد زايدة
بدأ طارق بفتح الجرح
كادت عايدة أن تزيلها ليوقفها طارق
:استني ..... الزايدة سليمة
:إيه دا أه فعلا .....خلاص قفل العملية
نزعت القفازات الطبية ثم تركته ورحلت ليزفر طارق أنفاسه بغيظ.
***
اتجه سامح داخل البيت ليجد والديه يجلسان معا يتحدثون بهمس ويبدو على والدته الإنزعاج
:سلام عليكم
:عليكم السلام يا حبيبي حمدالله على السلامة
:الله يسلمك يا ماما
:كنت فين يا سامح
سأله والده بفضول ليجيبه سامح وهو يدور بنظرة بحثا عنها
:مفيش يا بابا مشوار مهم كان لازم أعمله .... أومال فين حورية؟

:في أوضتها من ساعة ما وصلت وكل ما أدخل ألاقيها نايمة
قالتها والدته وهي تمص شفتيها بازدراء لم يكترث لها سامح كثيرا ليتجه نحو غرفته
:طيب تصبحوا علي خير أنا داخل انام
تركهما ورحل لينظر لها زوجها بضيق
:مالك يا عالية
:مالي ما أنا زي الفل أهو
:من ساعة ما حورية جت وأنتي مش عجباني
:ده متهيألك بس ...أنا تمام
:ماشي يا عالية هعمل نفسي مصدقك مؤقتا لحد ما أشوف موضوع الولاد ده إيه أخرته
تركها ورحل لتنظر هي إلى أثره بحزن
مازالت تتذكر الكثير من المواقف بأدق تفاصيلها
لم ولن تنسي أبدا
تلك الأحداث التي تركت بداخلها جرح عميق لم يلتئم بعد
كلما مر الزمن كلما زاد حرجها ألما
وكأن الزمن يضغط بكل قوته على جرحها دون رحمة
حاولت..... صدقا حاولت النسيان دون فائدة
وكيف تنسى والماضي يتجسد أمامها طوال الوقت...
***
وصل البيت أخيرا بعد يوم شاق بالمشفى ثم ذهابه للمقهى ليقابل عم حليم ليغلبه كعادته بالشطرنج
لا يعلم حقا لولا ذلك العجوز لكان استسلم لأحزانه مع ذكريات زوجته الراحلة
اتجه إلى صورتها المعلقة على الحائط ظل ينظر لها طويلا لتدمع عيناه
مرت العديد من المشاهد التي تجمعهما معا أمام عينيه
ليدعو لها بالرحمة ثم اتجه إلى غرفته
عقد حاجبيه بدهشة من المفترض أن يسمع صوت فيروز الآن مع رائحة القهوة المانو لكن لا شيء

اتجه إلى شرفة منزله ربما يراها
وكان توقعه صحيح وجدها تجلس على كرسي خشب هزاز شاردة تنظر للبحر أمامها وحول عنقها تلك الكوفية الزرقاء القصيرة
:أنتي كويسة؟
انتبهت لصوته لترسم ابتسامة بسيطة على وجهها
:أيوه ليه بتسأل
:أومال يعني مش سامع فيروز ولا ريحة القهوة اللي بتملي الشقة
:هههههههههه .....أبدا بس متوترة شوية عشان الافتتاح بكرا
:سيبيها علي الله وكل شيء هيبقى تمام
:يارب
قالتها بقلق ليحاول بث الطمأنينة بداخلها
:تسمحيلي بقى أعزمك على فنجان قهوة عظمة من عمايل إيديا
:بتعرف تعملها
:هتشوفي بنفسك ... عن إذنك ثواني
تركها لدقائق واتجه إلى مطبخه الصغير ليعود بفنجانين من القهوة
تناولت فنجانها وارتشفت بعض الرشفات الصغيرة
حاول قراءة تعابير وجهها على فنجانه ليبتسم عندما أخبرته
:مظبوط تمام
:عيب عليكي قولتلك
:تسلم ايدك
قالتها وهي تنظر شاردة أمامها لموج البحر الهادي على غير العادة في ذلك الوقت من الشتاء
ظل يتأمل شرودها بحنين لذكرى زوجته استطاع أن يخرج بعض الاختلافات البسيطة بينها وبين زوجته
أفاق من شروده على صوتها وهي تخبره
:تعرف البحر ده غريب أوي
:أنهي بحر
:أى بحر وخلاص
:ليه يعني

:عامل زي الزمن .... غدار
وها هو اختلاف آخر بينها وبين ندى
ندى تعشق البحر كانت تخبره دائما أنه جزء من روحها
لتردف هي
:موجة تاخدك وموجة توديك ..... مش عارف أنت رايح فين بس أهو ماشي معاه وخلاص وفجأة تلاقي نفسك تايه وبتسأل ألف سؤال أنا فين وإيه اللي جابني هنا ويا ترى توصل في الأخر ولا لأ
:ده أنتي شكلك زعلانة من البحر أوي
:هو اللي زعلان مني لأني فارقته كتير
:قد إيه؟
: ١٣ سنة و٣ شهور وأسبوعين
:هههههه..... ياااه ده عمر بحاله ..... ليه حق يزعل منك
:أديني رجعت أهو وبحاول أصالحه.....أنت عايش هنا لوحدك
:ها .... أاا.... أه
ارتشف بعض رشفات من فنجانه يحاول بها أن يداري توتره
عادت تنظر للبحر مرة أخرى ليسألها هو
:وأنتي برضه واضح إنك عايشة لوحدك مش كده؟
:تحسست تلك القلادة برقبتها وهي تومئ رأسها بنعم
:بس شكلك مكنتيش عايشة هنا في مصر
:كنت في كندا
:طب بذمتك حد يسيب كندا ويرجع مصر
:طب بذمتك حد يسيب عروسة البحر ويسافر من غير ما توحشه
:على رأيك .... الواحد مجرد ما يبص للبحر شوية يحس أنه خلاص بقى جزء من روحه كان فيه حد دايما بيقولي كده
:مين؟!
:حد والسلام
:طب عن إذنك ثانية
تركته واتجهت للداخل ثواني وسمع صوت جاره القمر يعلو بالداخل
ابتسم لتعود هي مرة أخرى وهي تخبره بسعادة

:أهو كده اليوم يكمل...

شط إسكندرية يا شط الهوى
رحنا إسكندرية رمانا الهوى
يا دنيا هنية وليالي رضية
أحملها بعينيا، شط إسكندرية

***

«القمر العاشر»

لم تنم منذ وجدته يخرج فجرا ووجهه لا يبشر بالخير ظلت مستيقظة تنتظر عودته
مر الكثير من الوقت بدأ الخوف ينهش قلبها
آلاف التوقعات التي صورها لها عقلها أن تحدث
سمعت صوت الباب ينفتح وجهت نظرها سريعا نحوه لتشهق بذعر
دخل عليها عابد بوجه مليء بالكدمات والجروح ملابسه الملطخة بدمائه

:عاابد .... إيه الي حصل؟!!
:دي ... دي حادثة يا ماما متقلقيش
قالها بألم
لكن ألمه الجسدي لا يهم الآن
بقدر الألم الذي يشعر به قلبه لفراقها
رحلت ويعلم أنها رحلت للأبد
يتذكرها وهي تخبره أن يبتعد عنها وينساها
لم يستطيع حمايتها لم يستطيع إنقاذها
:لا دي مش حادثة ..... مش ممكن تكون دي حادثة
توجه إلى أقرب مقعد ليجلس عليه بألم
ونظر لها دون رد
:هي؟؟.....هي مش كده؟؟
قالتها كإجابة أكثر منها كسؤال لينظر لها بحزن
أومأ رأسه بإيجاب لتردف بحدة
:طب وبعدين المرة دي جايلي متكسر المرة اللي جاية هستنى إيه
:استريحي يا ماما اللي كنتي عايزاه حصل تولين بعدت وبعدت للأبد مش هشوفها تاني
كاد أن يتركها ويتجه لغرفته
لكنها أوقفته وهي تخبره بشيء جعله يقف ساكنا
:عابد ..... حضر نفسك احنا راجعين مصر
***
استيقظ من نومه متأخرا
حقا كان يحتاج تلك الراحة منذ أيام التقط هاتفه ليجد كالعادة
العديد والعديد من الرسائل لم يحتاج أن ينظر لاسم المرسل ومن غيرها هي التي لا تمل أبدا من إرسال نفس الرسائل كل يوم تعبر له عن حبها وعشقها له
وهو كالعادة لا يحاول حتى فتح تلك الرسائل أو يهتم بالرد عليها
اتجه للخارج ليجد والديه على طاولة الإفطار
:فين حورية؟!

:في أوضتها هتكون فين
:طب من فضلك يا ماما نادلها
:سيبها هي لما تصحى هتخرج
:لو سمحتي يا ماما عايز أتكلم معاها قبل ما أخرج
:روحي يا عالية
:حاضر
قالتها بضيق وهي تتجه نحو غرفتها لتشهق بذعر وهي تردف
:حورية مش في الأوضة
:نعم
قالها سامح ليركض سريعا نحو غرفتها ليتأكد بنفسه
زفر بغضب ليبحث بنفسه عنها بجميع أرجاء المنزل دون فائدة
توجه نحو باب المنزل ليبحث عنها بالخارج
لكنه توقف عندما وجد الشقة المقابلة لهم إضاءتها مشتعلة
التف لوالديه وهو يزفر بهدوء
:خلاص يا جماعة لقتها
اقترب والده إليه بقلق
:فين؟؟
:في شقة تيته
قالها وهو يشير إلى الشقة المقابلة لهم ليبتسم والده بحنين
:طب روحلها بسرعة دي فرصتك
اقترب سامح من الباب ليجده مفتوح دخل بهدوء
أخذ يبحث عنها في كل مكان حتى سمع صوت بكاء يصدر من أحد الغرف
دخلها ليجدها تجلس أرضا وبيدها صورة قديمة لوالديها وهي تبكي بحرقة
:حورية
ارتمت بأحضانه وهي تبكي دون توقف
استقبلها بين ذراعيه بحب تركها تفرغ كل طاقتها من غضب وضيق
رغم حزنها هذا لكنه سعيد
فبالرغم من غضبه منها لتصرفاتها الأخيرة
إلا أنه سعيد فمازال هو مصدر أمانها الذي تركض دائما إليه

ظل يربت على ظهرها بحب حتى شعر بسكونها بين يديه ليدرك أنها نامت حملها, وخرج من الشقة بأكملها وتوجه إلى منزله ليضعها على سريرها, كان قلبه يرقص الآن يشعر أنه قطع مسافة طويلة بالقرب إليها مرة أخرى بعد أن كان يشعر أنهما يبتعدان كل البعد عن بعضهما لسبب مازال لا يعلمه ظل يتأملها بحنين أزاح خصلات شعرها التي تزعجها وهو يحدث نفسه... وعدي إليك يا حوريتي سأعيدك إلي مرة أخرى فأنتي لي حتى آخر العمر يا أحلى ما في العمر.

***

كانت متألقة اليوم بحق تجلس أمام البيانو على وشك البدء في العزف

:أستاذة ريما .... أستاذة ريما ..... أستاذة ريما

:نعم ... نعم .... نعم.... إيه يا كريم حرام عليك مش قولتلك متفصلنيش

:ما أنتي نسيتى تقوليلنا الورد ده نحطه فين؟

:يا خبر أنتم لسه مخلصتوش شدوا حيلكم الناس قربت تيجى

:ما أنتي اللي وصلتي النهاردة متأخر

قالها لتشرد لثواني وهي تتذكر سبب تأخيرها عندما ذهبت إلى أحد المعامل لإجراء بعض التحاليل لمعرفة سبب ذلك الدوار الذي يداهمها

:يا أستاذة

:أيوه ...أيوه معاك

:ها نحطه فين

:خلي واحدة عند الباب وواحدة هنا جنب البيانو

:تمام

ذهب ذلك الفتى النحيل ليفعل ما أمرته به

أما هي حاولت أن تهدأ لتأخذ أنفاسها بهدوء

:يارب كل حاجة تبقى كويسة

قالتها وهي تلمس حجر الفيروز الأزرق المعلق برقبتها

وبدأت بالعزف ((اللقاء الثاني))

***

بدأت تفتح عينيها ببطء استغرقت ثواني لتسترجع ما حدث

لتتسع عينيها بخوف

نظرت حولها لتجد نفسها تجلس على سرير بغرفة يبدو أنها بأحد الفنادق
:صباح الخير
نظرت له بخوف لتتعجب من تلك الإبتسامة على وجهه
أليس غاضبا!!
لن يعتدي عليها بالضرب كعادته
لن يبدأ بإهانتها ويذكرها أنها أحد ممتلكاته الخاصة
:كيفك هلا.... منيحة
:والله يعني أنت عن جد خايف عليا؟
:أكيد .... إذا ما خاف على مرتي على مين راح خاف
ظلت تنظر حولها بتعجب
أيعقل أنه يتحدث معي أنا!!
:أنت مع مين عم تحكي
:معك أنتي تولين حبيبتي
:حبيبتك!!!
اتسعت عيناها في دهشة خاصة وهو يجيبها
:أنتى زوجتي وحبيبتي وأم ابني كمان
:ابنك .... يزيد أنت فايق؟ ..... بس متكون شربان
:تولين أنتي حامل؟
:شو!!!
قالتها بصدمة
لا بالتأكيد هو يكذب
نعم نعم هو كذلك
يكذب كي يقيدني مرة أخرى معه في هذا المكان
لا لن أسمح له بذلك مرة أخرى
:ايه تولين أنتي حامل
:لا لا لا أنت اكيد عم تكذب مستحيل كون حامل
قالتها بجنون وهي تقف أمامه
:اهدي حبيبتي أنتي أعصابك تعبانة

:لا أنا كتير منيحة بس أنت اللي مو قادر تستوعب أني بكرهك وبستنى اليوم اللي أبعد عنك فيه وما يكون إلك وجود بحياتي إبدا وهاد الطفل أنا راح نزله لأني ما بدي أي شيء يجمعني بيك عم تفهم

قالتها بغضب وهي تصرخ لا تعرف من أين جاءت بكل تلك الجرأة كي تقف أمامه دون خوف

مجرد تخيلها أنه يمكن أن يجمعها طفل بيزيد جعلها تفقد أعصابها فوجود طفل سيهدم جميع فرصها للهروب منه

هذا الطفل عائق يجب أن تتخلص منه

أسودت عين يزيد بغضب لكن تلك المرة ليس منها بل منه هو

أيعقل أني جعلتك تكرهيني إلى هذا الحد

ماذا كنت تعتقد يا يزيد أنها ستطير من الفرحة عند علمها بهذا الخبر

أنا من أفقدتها حريتها حتى في التنفس بدون علمي

أنا من جعلت أيامها السابقة يملأها الخوف و الألم

حتى ذلك الطفل جاء من دون إرادتها

ماذا أنتظر أن ترتمي بين أحضاني وهي تقفز فرحا لذلك الخبر

اقترب منها ووضع وجهها بين كفيه لتتقابل أعينهما في لقاء يجمع كل مشاعر الغضب والحزن والندم

:تولين حبيبتي .... بوعدك أني راح عوضك عن كل شي فات بس بدي منك فرصة .... فرصة أخيرة بس أثبتلك فيها إني بحبك

:حب.. أي حب أنت اللي مثلك ما عنده قلب أصلا حتى يعرف شو هو الحب ..... لا يا يزيد ما تتعب حالك وتثبتلي إنك شخص منيح لأني ما راح صدق أبدا وهاد الطفل أنا راح نزله لأني بكرهه وبكره اليوم اللي أجي فيه عم تفهم علي

:هيك لكان حلو كتير أكرهيني متل ما بدك ... بس والله العظيم يا تولين إذا بيصير شي لابني لأخليكي بتتمني الموت من يلي راح تشوفيه

دب الرعب أوصالها من حديثه لكنها حاولت أن تظهر قوتها أمامه تابعته بعينيها وهو يرحل وكالعادة سمعت صوت الباب وهو يغلقه عليها لتجس مكانها وهي تبكي على حالها وتدعو الله أن ينقذها من بين يديه

***

دخلا المقهى سويا بحثا بعينيهما عن عم حليم ليجدوه كالعادة مجتمع برجال المقهى ليهزمهم في الشطرنج

:يا روقانك يا عم حليم ..... ولا حامل للدنيا هم

:هتحسد الراجل ولا إيه يا عم أكرم

:بصراحة أه ..... يارب نص روقانك يا عم حليم

اقتربا الاثنان منه ليبتسم فرحا

:أخيرا جه حد بيعرف يلعب بدل الفشلة دول.... تعالوا يلا ابدأ أنت يا خالد أصل أكرم فاشل زيهم

:هههههه .... كدة ماشي مقبولة منك يا عم حليم

بدأ خالد وعم حليم اللعب

:والله يا عم حليم أنا بحسدك على راحة بالك دي

:يا عم أكرم الله أكبر عايزين الراجل .....ربنا يديك الصحة وطولة العمر يا عم حليم

قالها خالد ليربت عم حليم على كتفه بحب

:تسلم يا ابني

:يا عم مش هحسده عم حليم ده حبيبي

:بص يا أكرم ربنا يا ابني عمره ما بيظلم حد كل واحد بياخد حقه كامل من الدنيا, صحيح أنا مش معايا الجاه ولا المال وجايز أكون راجل على قد حالي كده لكن تعالى بص من الناحية التانية بقى عندي أربع ولاد زي الورد ربنا يخليهم ليا و زوجة صالحة واقفة معايا وجنبي طول العمر وعمرها ما اشتكت, رغم إن عدى علينا ظروف صعبة كتير و عطاني حب الناس وكفاية إني بنام كل يوم و ضميري مرتاح ودي حاجة يحسدني عليها ناس كتير

:يا بختك يا عم حليم أنت من الناس اللي ربنا بيحبهم

:وأنت كمان يا واد ربنا بيحبك

:وعرفت منين بقى

:بص جواك عندك قلب طيب وصاحب بيحبك و.....

:بس اللي بحبها مش من نصيبي يا عم حليم

:يبقى بتدور في المكان الغلط ..... يمكن نصيبك ربنا شايله في حتة تانية

:بس هي دى اللي قلبي دق ليها
القلب سموه قلب عشان بيتقلب يا أكرم زي ما ربنا زرع حبها جواك قادر أنه يشيله تاني
:إيه يا جماعة بقى احنا هنضيع القعدة كلها في الكلام ولا إيه يلا يا عم حليم نلعب ولا تكون خايف
قالها خالد بسخرية
:أنا اللي أخاف يا واد ده أنا اللي معلمهالك ولا نسيت
:ماشي يا عم الأستاذ
ظلوا على هذا الحال في اللعب وكالعادة انتصر التلميذ على الأستاذ ليصفق لهم جميع من بالمقهى
ليعلو صوت أحد الرجال داخل المقهى
:ما تشغل لينا أي حاجة نسمعها يا معلم
ثواني ليعلو صوت جارة القمر لتبعث بصوتها الحنين داخل قلوب الجميع

بيقولوا الحب بيقتل الوقت
وبيقولوا الوقت بيقتل الحب
يا حبيبي تعا تا نروح
قبل الوقت وقبل الحب
***

«القمر الحادي عشر»

منذ ما حدث وهي تسمع صوت والدتها بالخارج تدعو عليها.... هي وهذا الحقير الذي سلمت له نفسها بكل سذاجة على أمل أنه سيتزوجها
حمقاء، كاذبة، خائنة ومذنبة أيضا
نعم هي كل هذه وأكثر تعلم
ظلت تنتظر حتى راحت والدتها في النوم ودموعها على خدها لم تجف بعد لتخرج وهي تتسحب كالمجرمين وتخرج من البيت لتذهب إليه

ظلت تركض دون توقف حتى وصلت إلى المبنى الذي توجد به تلك الغرفة التي كانت تجمعهما سويا دائما
كادت أن تطرق الباب لولا أنها استمعت لصوت ضحكات نسائية تعلو من الداخل
اتسعت عينيها بصدمة وهي تستمع لهما
:هو احنا مش هنتجوز بقى يا فتحي
:طبعا يا قلب فتحي بس أخلص من الدوشة اللي حواليا دي ونتجوز على طول
:دوشة إيه؟
:موضوع كده مش مهم ... بس أوعدك أول ما أخلصه هاخدك ونتجوز ونسيب البلد دي
هنا اشتعلت النار برأس كريمة ظلت تطرق الباب بعنف وهي تلقيهما بأبشع الألفاظ
فوجىء فتحي من وجودها ليفتح الباب وهو يصرخ بوجهها بحدة
:أنتي اتجننتي يا بت أنتى
:مين البت دي يا فتحي
قالتها كريمة بغضب ليفاجئها ببروده
:وأنتي مالك
:مالي إزاى أنا مراتك
:نعم وده بأمارة إيه إن شاء الله
:أمارة إيه ؟!.... أنت وعدتني بالجواز
:ورجعت في كلامي
:إيه !!!..... لا لا يا فتحي أبوس إيدك ده أنا سلمتلك نفسي
:وأنا متجوزش واحدة سلمتلي نفسها قبل الجواز
:أبوس إيدك يا فتحي أبوس رجلك أنا حامل أنا كده هتفضح
:يلا يا شاطرة روحي شوفي الواد ده ابن مين
:يعني إيه؟؟
:يعني العيل ده معرفش عنه حاجة روحي شوفي أنتي غلطتي مع مين وجاية تلبسيه ليا

:ده أنا هوديك في ستين داهية
قالتها وهي تصرخ
لترفع يدها لتصفعه لكنه كان الأسرع وهو يلوي ذراعها خلف ظهرها
:بت أنتي غوري من هنا بدل ما أفضحك وأقول إنك جاية ترمي بلاكي عليا ومش عاوز أشوف خلقتك هنا تاني وإلا هرمي على وشك الحلو ده مية نار فاهمة...
قالها وهو يقذفها خارج الغرفة ككيس القمامة
نظر لها باشمئزاز ثم أغلق الباب بوجهها
نظرت للباب المغلق بغل وهي تقسم داخلها أنها ستجعله يندم على فعلته تلك ثم ستنتقم من نفسها على ما جنته بفعلتها
ظلت تمشي بالطرق لا تعرف أين تذهب ودموعها تنساب على وجنتيها دون توقف
هل تعود للمنزل مرة أخرى؟
لا لا بالتأكيد ستقتلها والدتها
إذا يا إلهي أين تذهب؟؟ ....
أتظل بالشوارع؟ ..... نعم يبدو أن هذا هو الحل
أن تظل منبوذة من الجميع .... تختبئ خلف صناديق القمامة كالفئران
نعم هذا ما تستحقيه يا كريمة نتيجة ما جنيتي
***
استيقظ بعد وقت طويل قضاه في النوم العميق
ألم كبير يسري في جميع أنحاء جسده
اعتدل بظهره على السرير وهو يتذكر ما حدث أمس
سيظل هذا اليوم محفور في ذاكرته للأبد
صورتها وهي تطلب منه أن يرحل عن حياتها للأبد.... ستظل محفورة بذاكرته
تطلب منه أن ينساها
حمقاء
ألا تدري أن الإنسان لا يستطيع أن ينسى التقاط أنفاسه؟
ألا تدري أن الإنسان لا يستطيع أن ينسى روحه؟

ألا تدري يا تولين ..... أنكِ وجعي المحبب؟
دخلت والدته للإطمئنان عليه للمرة التي لا تدري عددها
:أخيرا صحيت ..... عامل إيه دلوقتي
قالتها وهي تتحسس كدمات وجهه ليصدر عنه أنين خافت وهو يتألم لتردف هي بألم
:شوفت أخرتها
:أرجوكي يا ماما مش عايز أتكلم في الموضوع ده تاني
:حاضر يا عابد
:أنا عايز أنساها يا ماما ... عايز أكرهها .... عايز أنسى إنها كانت في حياتي .... عايز أخف منها
نظرت له والدته بتعجب ليردف
:أيوه يا ماما أخف ... حبها مرض ... مرض بيمشي في دمي لازم أخف منه عشان أقدر أعيش
:ربنا مقلب القلوب يا ابني
:أنتى قولتي الحل يا ماما خلاص ..... احنا لازم نرجع مصر
أنا مكنتش.....
:خلاص يا ماما أنا قررت لازم نرجع كفاية لحد كده
***
استيقظت بعد وقت طويل راحت فيه في ثبات عميق حقا كانت تحتاجه حتى تستطيع ترتيب أفكارها
آخر شيء تتذكره هو وجودها في شقة جدتها القديمة
خرجت لتجد عمها وزوجته يجلسان أمام التلفاز
:تعالي يا بنتي تعالي
قالها عمها بحب لتقترب منه بخجل
:ها يا بنتي قررتي
:قررت إيه يا عمي
:موضوعك أنتي وسامح
ساد الصمت لثواني ليردف عمها
:أنا عايزك تتأكدي يا حورية إنك لو مش .....

:أنا موافقة يا عمي .... موافقة
ابتسم عمها بفرح وهو يأخذها بين أحضانه بحب أبوي افتقدته هي منذ زمن
:ربنا يفرح قلبك يا بنتي أيوه كده خلوا الفرح يدخل البيت ... ده القلب تعب
من كتر الحزن .... أما أروح أفرح الواد الغلبان ده وأكلمه
كانت عالية تستمع لهما بقلب يتمزق من الألم راقبت زوجها وهو ينصرف
تعلم جيدا إلى أين هو ذاهب الآن
ذلك المكان المعتاد الذي يبكي قلبها حزنا كلما أدركت ذهابه إليه
لا يعلم الجميع مقدار الحزن والألم الذي تحمله بصدرها طوال تلك السنوات
:مش هتقوليلي مبروك يا مرات عمي
اقتربت منها عالية وبصوت خافت يحمل كل معاني الكره
:عارفة يا حورية أنا عمري ..... عمري ما كرهت حد في حياتي قد ما
كرهتك
جاءت لترحل لتمسك حورية يدها بقوة
:ليه .... ليه كل الكره ده أنا عملتلك إيه عشان كل ده ... أنا طول عمري
بعتبرك زي أمي
:اخرسي
:مش قبل ما أعرف إيه سبب كل الكره ده ..... أنا طول السنين اللي فاتت
وأنا حاسه إن فيه حاجز بيني وبينك بس مش عارفة إيه هو .....أنا عملت
ليكي إيه؟!
:مش أنتي السبب
:أومال مين؟
قالتها بترقب لتنظر لها عالية بحزن ثم تركتها لتبكي في غرفتها بصمت
وتركت حورية غارقة في حيرتها
تعاقب على ذنب لا تعلمه
***
لم يكف هاتفه عن الرنين منذ أن استيقظ وذهب إلى عمله مئات المكالمات
والرسائل التي ترجوه بها أن يرد عليها
حتى قرر أخيرا أن يرد ليوقفها عند حدها
حقا لقد طفح الكيل من أفعالها تلك

:ألو
:سامح أخيرا رديت أنا كن.....
:دينا ... للمرة الأخيرة اللي بقولك فيها ابعدي عن حياتي وأنا دلوقتي بكلمك بالذوق بعد كده هيكون بالفعل فاهماني
:هتعمل إيه يا سامح؟؟
:حاجة متحبيش تعرفيها
قالها ثم أغلق الخط بوجهها
ليترك خلفه قلب محطم لشظايا من الخذلان
***
بعدما انتهوا من اللعب في المقهى مع عم حليم توجها الاثنان إلى المرسم لحضور الافتتاح
كان أكرم في قرارة نفسه سعيد لأنه سيحضر أمر كهذا
فعشقه السري للرسم واللوحات جعله متحمس لحضور هذا الافتتاح
خصوصا أنه أول مرة سيحضر مناسبة كتلك ....
وصل الاثنان ليجدوا ريما مشغولة مع الحاضرين
كان المكان يتميز بالبساطة والرقي
مع العديد من اللوحات المنتشرة علي جميع الحوائط يبدو أن ريما فنانة بحق
كانت معظم اللوحات لمناظر طبيعية من دول مختلفة
لكن هناك بعض اللوحات يبدو أنها مرسومة منذ فترة طويلة فالأوراق بها مالت للاصفرار والألوان بها أصبحت باهتة
:نورتوني
قالتها ريما وهي مقبلة عليهما وتحمل بيدها علبة شيكولاتة تقدمها لهما لتردف
:إيه رأيكم في المكان؟
:حلو جدا
قالها خالد وهو يلتقط قطعة شكولاتة ليتبعه أكرم
:المكان شيك جدا
:طب إيه رأيكم في اللوح
:حلوة جدا بس عندي سؤال

:اتفضل
:اللوحات دي مش شكلها قديم شوية وكمان أنا شايف إن فيه كام لوحة لسه مخلصوش
قالها أكرم الذي يبدو على وجهه الحماس لرؤيته كل هذا الكم من اللوحات مما أثار تعجب خالد
منذ متى وأكرم يتحمس لهذا النوع من الفن!!
نظرت ريما إلى اللوح التي يقصدها
:دي لوح بابا الله يرحمه كان مقرر قبل ما يموت إنه هيفتح المرسم ويعرض اللوحات بتاعته فيها لكن الله يرحمه مات قبل ما يفتحه ومن ساعتها واللوحات دي مركونة والمرسم مقفول واحنا سافرنا كندا
تنهدت بحنين ثم أكملت
:أنا فكرت أكمل باقي اللوح اللي لسه مخلصتش لكن زي ما أنت شايف الورق بقى قديم جدا ودايب .... لكن أنا برضه حبيت أعرضهم
:فكرة حلوة منك إنك تكملي اللي والدك كان نفسه فيه
قالها خالد وهو ينظر لها بفخر..... لتستأذن هي منهما وتتجه نحو البيانو
تحسست قلادتها قبل أن تبدأ كأنها تستحضر روح والدها ليدعمها
ثم أخذت نفس عميق تتمنى بداخلها ألا يداهمها ذلك الدوار اليوم مرة أخرى
بدأت في عزف ((Tango to Evora))
ظل خالد ينظر لها بحب
ليجد نفسه يسأل ذلك السؤال ..... إلى من تنظر يا خالد....ريما أم ندى؟
لن ينكر الآن أن هناك العديد من الاختلافات بينهما
اختلافات لا يقدر أن يستخرجها غير شخص مثله
شخص غرق في عشق الأولى
ويصارع بمركبته أمواج الحب نحو الثانية
مر الوقت ورحل أغلب الحاضرين
:أستاذة ريما .... أستاذة ريما
:أيوه يا كريم
:في واحد جه من المعمل وساب ليكي التحاليل دي
التقطتها منه بلهفة لتفتحها .....لكنها لم تفهم شيئا

:طب عن إذنك بقى يا ريما لازم نمشي
:لحظة يا خالد من فضلك ..... أنت طبعا دكتور صح
:بيقولوا
:طب ممكن تفهمني المكتوب في التحاليل دي
التقطها خالد وهو ينظر إليها بدقة .....لتتسع عيناه بصدمة
:بتاعت مين التحاليل دي؟؟
:بتاعتي ..... في إيه يا خالد مالها
يا إلهي
هل كتب عليه القدر أن يفقد ندى للمرة الثانية
لا تلك المرة سيحارب ليحميها
سيقف في وجه القدر بكل قوته
أعطاه الله فرصة أخرى ليعيش حياته مع من يحب لن يتركها تذهب هباءا
:خالد ..... خالد
:ها
:روحت فين ..... التحاليل فيها إيه؟
:فيها .... فيها.....
:سرطان.... مش كده؟؟
قالتها هي ثم تركت لدموعها العنان وهي تردف
:أنا كنت حاسه كدبت نفسي كتير أنه ممكن يكون أي حاجة تانية .....
لحد آخر لحظة كنت مستنية التحاليل تقول غير كده .....لكن دلوقتي اتأكدت
دون شعور منه وجد نفسه يحتضنها بحب وهو يخبرها
:ريما أنتي قوية وهتقدري تعدي كل ده .... صدقيني هتتعالجي وكل حاجة هتعدي وهتبقى أحسن
كانت تبكي بين أحضانه دون وعي منها ليتركها تخرج كل أوجاعها بين يديه
لم يدرك أي منهما كم المدة التي ظلا بها على هذا الوضع
الشيء الوحيد الذي يدركوه الآن أن كلا منهما كان يحتاج هذا العناق

ليالي الشمال الحزينة
ظلي اذكريني، اذكريني
ويسأل عليّ حبيبي
ليالي الشمال الحزينة

***

«القمر الثاني عشر»

كان يستعد للرحيل من عمله ليستمع إلى طرقات على باب المكتب نظر باتجاهه ليجدها هي
رباه أحقا لم تمل من تلك الأفعال بعد
زفر بضيق لينظر لها بغضب
:إزيك يا سامح
:إيه اللي جابك يا دينا
:خلاص يا سامح .... أوعدك دي آخر مرة هتشوفني فيها ..... أنا بس جاية أعتذرلك عن كل المرات اللي فاتت أنا أسفة فعلا .... بس أنا عايزاك تعرف

إني حبيتك بجد..... مهما كانت حورية بتحبك فهي عمرها مهتحبك قدي يمكن صحيح أنتم اتربيتوا سوى وكبرتوا سوى لكن هي عمرها ما هتفهمك زيي ولا هتحبك قد ما أنا حبيتك.... وقبل ما أعتذرلك أنا لازم أعتذر لنفسي على كل لحظة ضيعتها وأنا بفكر فيك وعارفة إن قلبك مش معايا .... على كل حلم حلمته وأتخيلك فيه أنا عارفة أنه مش من حقي ... وإنك عمرك ما كنت ليا

:دينا اسمعيني ..... أنتي تستاهلي حد يحترمك ويحبك من كل قلبه .....
تستاهلي إنسان يقدر قيمتك وقلبه يبقى ملكك أنتي وبس ..... قلبه يكون ليكي لكن أنا أسف أنا قلبي ملك لحورية ومن زمان

:أنا اللي أسفة يا سامح ... أسفة إني حبيتك وحبيتك أوي .... عن إذنك

رحلت دينا وهي تجر خيبة أملها في حب من طرف واحد
طرف أعطى وأفرط في مشاعره لشخص لم يقدرها
شخص كان قلبه مضيء بحبه لواحدة غيرها
فشلت في إخماد تلك الإضاءة أو حتى تحريك ذلك القلب المتيم نحوها
رحلت بقلب مكسور ينزف جرعات حبه محاولة منه في التعافي والعودة كالسابق
لكن هل ما كسر يمكن إصلاحه أم يعود بهيئة أخرى أقوى؟!!
***
حل صباح جديد على شواطىء الإسكندرية استيقظت ريما بتعب وقلق
تتذكر حديث خالد بالأمس عن رغبته أن تعيد التحاليل مرة أخرى
اتجهت إلى شرفة غرفتها فتحتها كي تستنشق رائحة البحر
ياإلهي البرد قارص والبحر يبدو غاضبا اليوم أمواجه عالية وتتسابق في تآكل الصخور دون رحمة
لتسمع صوته يأتي من الشرفة المقابلة

:صباح الخير

:دكتور خالد صباح النور

:جاهزة

:أيوه

قالتها بخوف وصوت مرتجف

:متقلقيش ..... أنا جنبك
: متشكرة أوي ..... عن إذنك أروح أجهز
تركته واتجهت للداخل لينظر هو للسماء برجاء
:ياااااارب
***
كان جالسا بالأسفل يفكر في المرحلة التي وصل لها معها
لا يعلم كلما حاول أن يعبر لها عن حبه يعجز وتسيطر شخصيته المتملكة عليه
يرى أن حبه لها ضعف
وهو لا يقبل أن يكون ضعيفا خاصة أمام من دق قلبه لها
لا لم يدق فقط بل حبها أحيا قلبه من جديد
لكنه يجهل التعبير عن ذلك .... لما لا تعلم هي وحدها
لكن ماذا أعطى هو لها من حب ..... كي ينتظر منها أن تفهم
فكر قليلا ليجد أنه لم يعطيها سوى الدموع، الحزن، الخذلان، والكثير من الألم
فقط لو تسامحه فقط لو تستطيع الشعور بذلك الصراع الذي يحدث بداخله الآن
ربما وقتها تشعر به
صعد لغرفتهما مرة أخرى لينصدم بما رأى توقف الزمن حوله وكأن الأرض توقفت عن الدوران
وجد جسدها يفترش الأرض وأسفلها بركة من الدماء
اتسعت عيناه وركض نحوها بخوف
:لا لا لا ... تولين ... تولين فوقي .... يا الله شو عملتي بحالك ..... تولين..
تولين قومي يلا وأنا بعملك يلي بدك ياه ... والله العظيم بس يلا فوقي ....
تووووولييييين
***
لم تتوقف عن تحريك قدمها وهي تنتظر نتيجة التحاليل بقلق
على الرغم من يقينها الداخلي التام بأنها صحيحة
لكن لديها نسبة بسيطة من الأمل أن تكون خاطئة

وجدته يخرج من المعمل وبيده التحاليل لم يستطيع النظر داخل عينيها
لم يمتلك الشجاعة الكافية ليخبرها بالنتيجة
نظرت له بحزن
:طلعت صح
:هتتعالجي
:مش هقدر أستحمل
:أنتي أقوى من كده
:شعري هيقع
:هيطلع تاني
:أنت عارف الكيموثيرابي بيعمل ايه
:عارف
:أنا كده عمري ما هكون أم
:متفكريش في كده دلوقتي
:أنا هبقى لوحدي
:قولتلك أنا جنبك
:هتزهق
:عمري ما أزهق طول ما أنا معاكي
:دكتور خالد .....
:خالد بس ....خالد بس يا ريما..... ريما ...أنا بحبك
***
كانت تسير بالشوارع كالمشردين تفكر فيما جنت به على نفسها
الشارع هو المكان الذي تستحقه
وهذا الطفل بأحشائها الآن ماذا تفعل به؟
الموت هو الحل الوحيد لها ولهذا الطفل
ما ذنبه أن يأتي إلى العالم ليحاسب على ذنب ليس له دخل به
أن يعامل دائما كوصمة عار .... أن ينبذه الجميع طوال حياته
ذنبه أنه طفل خطيئة
رفعت كريمة أنظارها إلى السماء تود أن تطلب من الله العفو
لكنها خجلت من نفسها لتعاود النظر أرضا مرة أخرى وهي تحاسب نفسها

أحقا لديكي الجرأة لتطلبي العفو منه
وأين كان الله في حساباتك عندما فعلتي فعلتك تلك
الآن تذكرتي خالقك يا حمقاء
ظلت تسير في الشوارع دون وجهة محددة
ويسيطر على عقلها أمرا واحدا فقط ....
كيف تتخلص من ذلك الطفل؟؟
***
استيقظ ليجد الجميع مازال نائما عدى هي تجلس أمام التلفاز بشرود من هيئتها وتلك الهالات حول عينيها ووجهها المرهق يبدو أنها ظلت مستيقظة طوال الصباح اقترب منها بهدوء
:صباح الخير
لا رد كانت شاردة في حديثها مع والدته
:حورية .... حورية
:ها ..... سامح..... فيه حاجة
:مالك يا حورية سرحانة في إيه
:ولا حاجة يمكن عشان منمتش طول الليل بس
:باين عليكي..... اللي واخد عقلك
:هيكون إيه يعني
:على فكرة بابا قالي إنك وافقتي نكتب كتابنا
:أيوه
:يبقى من حقي أعرف أنتي متغيرة معايا ليه الفترة دي من ساعة الحادثة
أنت .... أنت متهيألك إني متغيرة
:فاكرة زمان يا حورية لما كنا ننزل نتمشى أنا وأنتي واحنا صغيرين على البحر
:وكان الوقت يسرقنا ونتأخر وعمي منصور ينزل يدور علينا
:أنتي اللي كنتي السبب
:أنا
:أيوه كان لازم يعني تصممي أنك تتعلمي ركوب العجلة
:أنت اللي مكنتش عارف تعلمني

:أنا
:أيوه وعلطول كنت بتوقعني
:صحيح خيرا تعمل...
ظهرت الإبتسامة على وجه كلا منهما
ابتسامة جمعت بين الحب والحنين كانت قد غادرت علاقتهما منذ وقت طويل
لتتحول النظرات إلى عتاب
حسنا لقد طفح الكيل يا حورية
يجب أن أواجهه بما رأيت
وليدافع عن نفسه أمامي
وأتمنى أن يفعل
حقا أتمنى أن تخبرني أن ما رأيته غير حقيقي
برر لي ما رأيت حتى وإن كانت مبررات غير مقنعة سأصدقك
سأضرب بكل ما يخبرني به عقلي إنك كاذب بعرض الحائط
:أخبار دينا إيه يا سامح؟
قالتها بقوة ليعقد سامح حاجبيه بتعجب
:دينا!!.... مالها دينا
:والله أنت اللي المفروض تجاوبني هي مالها وعاملة إيه وأخبارها إيه
:قصدك إيه؟
:أنت فاهم قصدي كويس
قالتها وهي تقف لترحل
ليمسك زراعها يوقفها قبل أن تغادر
:استني هنا فهميني بصراحة قصدك ايه
:أنا مش عبيطة يا سامح أنا عارفة كويس اللي بينكم ..... من يوم الحادثة أنا شفتك وأنت بتحضنها
رباه .... أهذا سبب تغير معاملتها كل تلك المدة
نعم لقد تذكر .... اتضحت له الصورة الآن
بيوم الحادثة .....عندما سقطت من على الدرج
هل كان ذلك سبب سقوطها أنها رأته فلم تتحمل رؤيته معها

دينا كانت معه بالمنزل هذا اليوم لن ينكر
لكن يا إلهي لقد فسرت حورية الموقف بشكل خاطئ
هل حقا ظنت أنني أخونها؟
:أنتي إزاى تصدقي عني كده ..... إزاى تتصوري إني ممكن أخونك؟؟
:أنا شفتك بعيني
:ليه مدخلتيش وواجهتيني كنت هوضح ليكي اللي شوفتيه .... كنت هقولك إن هي اللي أكتر من مرة تيجى وتقولي إنها بتحبني وأنا اللي أصدها .... أكتر من مرة هي اللي تيجى وتقولي أسيبك وأبعد عنك وأنا اللي أقولها إن مفيش في قلبي غير واحدة بس هي أنتي
:ولما هو الموضوع كده حضنتها ليه
:اليوم ده لقتها بتخبط عليا البيت و بتقولى إنها بتحبني وإنها كانت هتنتحر بس لحقوها وقعدت تعيط حاولت أطردها لكن فجأة لقتها بتحضني وتصرخ وتقول متسبنيش ..... لو كنتي دخلتي لما شوفتينا كنتي هتسمعيني وأنا بطردها
صدقيه نعم .....لا لا
صدقيه أيتها الحمقاء..... لما
لأنكي تحبيه ..... أحبه نعم
إذا فلتصدقيه هو يحبك حقا.....لكنه خدعني لم يخبرني بأمر تلك الفتاة بل أنتي من أردتي أن تري الموضوع بهذا الشكل تعلمين كم يحبك سامح هو ليس الخائن ..... بل أنتي الخائنة يا حورية
أنا .... نعم خائنة
لما؟؟
ماذا تسمي مشاعرك ناحية أكرم؟؟!
أكرم ..... لقد نسيته حقا منذ خروجي من المشفى
ربما كانت محاولة ساذجة مني لإغاظة سامح لكنني فشلت بها
أو ربما كان مجرد إعجاب بطبيب ناجح أعاد إلى عيني النور من جديد
كان هذا الصراع الدائر بين قلبها وعقلها لم تخرج منه إلا على صوته
:مش مصدقاني؟
:مصدقاك يا سامح .... مصدقاك

:وبعدين
:وبعدين إيه؟؟
:يعني هنكتب كتابنا في أم الجوازة اللي حد باصصلي فيها دي ولا لا
ظلت تضحك وهو ينظر لها بعشق
ها هي أخيرا عادت له حورية قلبه من جديد..
***
:يعني طلع بجد
:أيوه طلع عندها لوكيميا والحالة محتاجة علاج بالكيماوي وبسرعة
وهي عاملة إيه دلوقتي؟
:خايفة جدا.... أنا سبتها ترتاح شوية في الأوضة وأنا اللي هتابع الحالة بنفسي
:تحب نعرضها على دكتور نفسي هنا
:ده اللي هعمله لو ملقتهاش بتستجيب للعلاج
:إن شاء الله يا صاحبي هتبقى كويسة وكله هيبقى تمام
:يارب يا أكرم ..... أنا مش عايز أحس إن ندى ضاعت مني تاني المرة دي مش هقدر
:خالد فوق اوعي تخلط في مشاعرك بين ندى وريما
نظر لها خالد بشرود
:تقصد إيه؟؟
:لو شايف نفسك مش عارف مع ريما تنسى ندى يبقي سيب حد تاني يتابع معاها العلاج
:دكتور أكرم عايزينك في الاستقبال
قالتها الممرضة التي دخلت للتو ليومئ لها أكرم رأسه بإيجاب وهو يرحل معها للخارج ويترك خالد وحده حائرا في تفسير مشاعره
ليتجه إلى دولاب الملابس الموضوع داخل مكتبه ويخرج صورة ندى من جيب بنطاله المعلق وينظر لها بحنين
***
كان يسير بين طرقات المشفى يمر على مرضاه ليوجه نظره بشرود على إحدى الغرف ليراها

رباه .... من تلك
هي
نعم .... هي
أنا لا أهذى .... بل أنا متأكد من قواي العقلية الآن
لكن .... كيف
ندى ..... مستحيل
لقد .... لقد ماتت على يدي

يا عاقد الحاجبين علي الجبين اللجين
إن كنت تقصد قتلي قتلتني مرتين
يا عاقد الحاجبين .....

***

«القمر الثالث عشر»

Sir your wife is fine dut we are sorry…… :
For what?:
Your baby is died…. we are very sorry :
مات
طفله الذي كان يتمناه
منها هي .... وهي فقط
مات
هل كانت تقصد ذلك؟
هل يصل بها درجة الكره لي أن تقتل طفلنا هكذا دون رحمة؟!
اتجه نحو الغرفة التي ترقد بها بتعب وإرهاق
ليجدها تجلس على السرير بوجه شاحب
:تولين
لا رد

:لهاد الدرجة ما بدك تطلعي فيني
لا رد
:على الأقل ردي علي خليني أسمع صوتك
:شو بدك قول
قالتها وهي مازالت تشيح بوجهها بعيدا عنه
:كان قصدك إنه يموت ؟؟
:شو بتفتكر
:كنت مفكر إنك راح تخافي عليه أكتر من هيك
وجهت نظرها نحوه وبكل ما تحمله بداخلها من كره بدأت تصرخ
:إذا عن جد بدك ياني أحكي ..... حلو كتير خليني أحكي كل اللي جواتي
نحيتك .... أنا ما كرهت بحياتي قدك .... ما عشت عذاب قد اللي عشته معك
يا يزيد .... اطلع فيني شوف ...شوف لوين وصلتني صرت أكره حالي
وأكره أي شي يربطني فيك .... كتير زعلان إني موته للجنين ..... إيه كان
بدي موته وأخلص منه حتى ما يكون في شي يربطني فيك طول حياتي ....
أنا كنت راح أكره هاد الطفل طول عمري تدري ليش .... لأنك أنت أبوه يا
يزيد....عم تفهم علي
خيم الصمت المكان لدقائق
تجمعت الدموع داخل عينيه
لكن لا.... لن يبكي
مهما حدث لن يظهر ضعفه أمامها
مهما كان مقدار حبه وعشقه لها
كبريائه وغروره لا يسمح له بذلك
حتى وإن كانت درجة عشقه لها تصل إلى حد الجنون
كسرت هي هذا الصمت وهي تردف
:بدك ياني أحكي كمان ؟؟.....طلقني يا يزيد
قالتها برجاء قاتل
لتتسع أعينه بصدمة
ماذا؟؟
علي رغم كل ما حدث في الماضي
علي الرغم من نظرة الكره التي كان يراها دايما بعينيها
إلا أنها لم تأتيها الجرأة ولو مرة واحدة أن تطلب هذا الطلب
هل حقا انتهى الطريق بينهما الآن؟؟
:أنتي ... أنتي شو عم تحكي

:طلقني ..... إذا عن جد بتحبني متل ما بتحكي طلقني ... وحافظ على شوية الإحترام يلي باقيين إلك جواتي
مر شريط حياتهم معا أمامه منذ أول مره رأها
كيف أثرته؟ ... كيف بهرته؟
ليمر أمامه أيضا مشاهده وهو يهينها، يقيدها، يحبسها، يجبرها على القرب منه
لم يجد شيء يشفع له عندها
فقد كانت معه طوال تلك السنوات هي عبده وهو سيدها يأمر فيطاع له
أغمض عينيه بألم وهو يخبرها
:أنتي طالق يا تولين ..... طالق يا أغلى شي بحياتي
قالها ورحل لتنظر لأثره بصدمة
لحظات لم تستوعب ما قاله
حتى أدركت ....
ماذا .... ماذا قال ؟؟
أحقا أنا الآن حرة
هل طلقني بتلك السهولة؟!
لا أصدق
لتقف على قدميها رغم الألم الذي تشعر به يسري بجميع أنحاء جسدها
إلا أنها وقفت لتسجد أرضا تحمد الله على أنها أخيرا
أصبحت حرة...
***
ركضت عايدة ناحية الترولي الذي دخل الآن من باب المشفى يحمل سيدة غارقة بدمائها وملابسها ممزقة وملطخة بالأتربة ومعها طفل صغير يبكي خوفا
:إيه اللي حصل؟
قالتها عايدة سريعا
خبطتها عربية هي وابنها.. ابنها وقع على الرصيف وهي اللي أخدت الصدمة كلها النبض ضعيف ومش منتظم بس الولد شكله كويس شوية خدوش بس
اختلست عايدة بعض النظرات للطفل ثم عادت للأم مرة أخرى
اتجهت إلى غرفة الكشف سريعا لتفحصها وأخذت عينة دم من الأم
اشتباه في ارتجاج ... وعايزة اكياس دم من العينة دي يلا
تحسست جنب الأم لتكتشف أن هناك كسر في الضلوع لتهتف

جهزولي العمليات فورا ..... وأنا هاخدها على غرفة الأشعة
***
يجلس بمكتبه ينظر لتلك الأوراق التي حصل عليها من الاستقبال بإهتمام
ريما .... لوكيميا .... والحالة حرجة يجب العلاج بالكيماوي
علم من الاستقبال أن خالد هو من أحضرها إلى هنا
رباه .....ما هذا!!
هل القدر يتلاعب بي إلى تلك الدرجة
أم أنه كتب على خالد أن يعيش مأساته مرتين
أيعقل أن تكون صدفة .... أم أن وقت العقاب قد حان؟
نظر حوله بحذر يتأكد أن لا أحد يراه ليتجه نحو الباب ويغلقه بحذر شديد كذلك النافذة
ثم عاد إلى مكتبه مرة أخرى ليخرج تلك الزجاجة الصغيرة والإبرة؛ ليدفع بها السائل ثم يشمر زراعه ويتحسس مكان الوريد ليحقن نفسه ليشعر بالنشوة تسري في عروقه ثواني وأعاد كل شيء كما كان ليعيد ظهره إلى الوراء ويجلس على الكرسي بأريحية
دقائق مرت وهو على تلك الحالة ليجد من يزعجه ويطرق الباب
اتجه ليفتح لتقابله الممرضة
:دكتور طارق دكتورة عايدة عايزاك في المعمل
أومأ لها بإيجاب
أما عايدة كانت تقف عاجزة أمام تلك الأشعة المعلقة أمامها
تهتف لنفسها بقلق
:التجمع الدموي في مكان صعب الوصول ليه .....التجمع بيزيد وبسرعة مفيش قدامنا وقت
:خير يا عايدة
:طارق أنا محتاجة مساعدتك ضروري .....بص الأشعة دي كده
نظر لها لثواني ليهتف بعدها بفتور
:الحالة بتاعتها أي عملية هنعملها مش هتوصل غير لنفس النتيجة
:لازم يكون في حل
:مش دايما
:يعني إيه أروح أقولها إنك حالة ميؤوس منها وهتموتي كمان كام ساعة
:أنتي مالك مهتمة بيها كده ليه
:دي أم يا طارق ومعهاش حد مفيش غير طفل صغير هيتيتم لو ماتت ذنبه إيه

:قوللها عشان تعمل حسابها
:إزاى عايزاني أروح أقولها أنتي خلاص مبقاش ليكي في الدنيا غير كام ساعة ودعي ابنك فيهم
:مش هتبقى أغلى عندك من اللي راح منك قبل كده
فهمت ما يعنيه لتنظر له بصدمة
حتى هو فوجئ من نفسه ليؤنب ضميره
:عايدة أنا ....
:عن إذنك
:رايح فين
:هروح لدكتور خالد
:هيعمل إيه أكتر من اللي قولناه
:ساعات بيجيلنا حالات مبتكونش محتاجة دكتور ..... بتكون محتاجة إنسان
تركته ورحلت ليضرب هو الطاولة أمامه بغضب
***
كانت تبحث عن ابنتها في كل مكان تسير بالشوارع كالتائهة
لا تعلم أين تبحث ومن أين تبدأ
حتى ذلك الشاب لا تعلم مكانه أو أي عنوان يدلها عليه
لا تعلم عنه سوى اسمه فقط
جلست أرضا تبكي لينظر إليها المارة بشفقه وحزن
من يظنها متسولة ومن يظنها تائهة أو تخلى عنها أبنائها معدومين الضمير
ليتركوها وحدها هكذا
نظرت للسماء تدعو الله أن يعيد لها ابنتها مرة أخرى سالمة
نعم تدعو لها فهي بالأخير تسمى أم وينفطر قلبها خوفا على ابنتها
***
بالعمليات يقف خالد مع عايدة فوجئت به يخبرها
:أنتي اللي هتعملي العملية
:إيه ... لا لا بلاش أنا
:أنا قررت خلاص يلا بسرعة مفيش وقت
لتبدأ العملية كانت عايدة بالفعل تبذل أقصى جهدها لتخرج بآلام سالمة
ليخبرها خالد
:الضغط لسه واطي والنبض مش منتظم
:زود أدرينالين وجهز ال DC Shok
:لكن يا دكتورة

:اعمل اللي بقولك عليه
ليفعل خالد ما أمرته
استمرت عايدة في العمل بحذر
:أنا هبدأ أزيل التجمع الدموي راقب نفسها ونبضها
نظر خالد للأجهزة حوله بانبهار
:دكتورة عايدة الضغط بدأ ينتظم والتنفس طبيعي حالتها مستقرة أنا مش مصدق
:الحمد لله
دقائق وبدأت الأم ترتعش
:دخلت في Shokيا دكتورة
:أدرينالين بسرعة
حاولت عايدة بكل الطرق إعادة استقرار الوضع مرة أخرى دون فائدة
لتصعد روح الأم إلى خالقها تاركة ورائها طفل بريء يقابل وحشية ذلك العالم وحده دون سند
نظرت عايدة إلى جسد الأم الفاقد للحياة بشرود وأعين دامعة
لتجلس أرضا في أحد الاركان تبكي وهي تنظر إليها
اقترب خالد منها بحزن
:أنتي عملتي اللي عليكي ... حاولتي لحد آخر لحظة
نظرت للممرضات وهم يغطون وجهها ويتجهون بها إلى الخارج
ليمر أمام عينها مشهد مشابه لذلك مازال تاركا في قلبها جروح لم تلتئم بعد
***
دخل خالد غرفتها التي أصبحت لها من اليوم لتلقي العلاج
كانت تجلس بشرود حاول هو أن يرسم ابتسامة بشوشة على وجه كي يبث بداخلها الدعم
:عاملة إيه النهاردة؟
:بحاول أكون كويسة
:لا اجمدي كده و شدي حيلك أومال مين اللي هيصحيني على صوت فيروز الصبح... ده أنا بسببك مبقتش أظبط المنبه وبعتمد على صوت فيروز اللي بيوصلي من شقتك
:أهو من هنا ورايح يا سيدي هتظبط المنبه وتصحى لوحدك
لن يعطيها فرصة أن تفتح مجالا لليأس بحديثها ليغير مجرى الحديث
:صحيح أنتي طلعتي بتعزفي بيانو حلو أوى
:عجبك بجد

:جدا .... يا خسارة كان نفسي أتعلمه
:أنا ممكن أعلمك على فكرة
:يبقى لازم تقومي بالسلامة الأول
:يارب
:أاا...ااا.... صحيح أنا .... أنا قولتلك حاجة كده ساعة التحاليل بس أنتي مركزتيش
:لا ركزت وعشان كده مردتش
:ليه
:أرجوك يا خالد بلاش كلام في الموضوع ده دلوقتي
:زي متحبي ..... مستعدة للعلاج؟
:مش عارفة
:قولي أيوه
:خايفة
:طبيعي
:هبقى لوحدي
:أنا على طول جنبك
:لحد امتى
:طول العمر
نظرت له بحب .....لكن بداخلها تخشى ما هو قادم
قال من قبل أنه يحبها
ولكن....
هل سيظل على هذا الحال حتي بعد أن يسقط شعرها ويتآكل جسدها من العلاج
هل سيظل يحبها وهي في عز مرضها وجسدها المرهق ووجهها الشاحب
***
وكالعادة يجلس مع عم حليم على الرغم من علمه أنه سيخسر أمامه
:أنت يا واد يا أكرم مش هتتعلم أبدا
:أعملك إيه ما أنت اللي محدش بيعرف يغلبك أبدا
:بس أنت مش عجبني بقالك فترة
نظر له أكرم بصمت ليردف
:ده أنت متدهول على الأخر
ابتسم أكرم بسخرية
:باين أوى يعني

:أنا مش فاهم طول المدة دي ومتعلمتوش مني حاجة خالص
:طب عرفنا نعمل إيه
:اجري يا خايب قولها.... الحقها قبل ما تضيع منك
:خايف
:من إيه؟
:يكون فات الأوان
:نعم يا خويا .....يا خيبتي في ولادي ..... أنت عارف يا واد يا أكرم إيه سبب مشاكل كل اتنين بيحبوا بعض في الزمن ده
:إيه؟؟!
:الوقت ...عامل الوقت ده مهم أوي .... يعني تفتكر لو كنت قابلت البنت دي في وقت تاني كنت برضه هتحبها ونفس الحكاية معاها يا ترى كانت هي هتحبك.... برضه خالد لو كان قابل البنت دي وندى عايشة كان حبها ... الوقت ده غريب أوي دقيقة واحدة بس ٦٠ ثانية يغيروا حاجات كتير أوي
نظر له أكرم بعمق
أيعقل أن يكون عم حليم محق؟؟
هل يجب أن أخبرها الآن أنني أحبها؟
هل إذا تأخرت دقيقة واحدة سأندم فيما بعد حقا؟
***
يجلس بمنزله ينظر لتلك الزجاجة والإبرة أمامه بشرود
أصبح يفرط مؤخرا بأخذ تلك المادة المخدرة
كما أصبح يشعر بارتعاش غريب بالأعصاب
الهالات السوداء حول عينيه أصبحت تزداد بشكل ملحوظ
مرت من أمامه ذكرى ذلك اليوم المشؤوم
يتذكر كل شيء كأنه بالأمس
يتذكر جسدها الغارق أمامه بالدماء
صراخ خالد بالخارج ... وصوت عايدة أمامه تمنعه عما يفعل
لكن الوقت كان قد فات..... صوت جهاز إنذار القلب وهو يعلن عن فقدانها للحياة
كل تلك الأصوات تعلو بأذنه الآن كالسوط تجلده دون رحمة
لعن نفسه بداخله آلاف المرات ليصرخ بغضب وهو يقذف تلك الزجاجة ليضرب بها عرض الحائط فتتحطم إلى شظايا
***
كان يقف أمام منزلها للمرة الأخيرة

كان يود أن يودعها
اليوم هو اليوم القبل الأخير لهما هنا
صحيح أنه قد أخذ عهد على نفسه أن يشفي تماما منها
لكن حبها كالإدمان يخبره دائما أنها المرة الأخيرة
وجد يزيد يصف بسيارته أمام المنزل
لكن غريب أين هي؟
وما به يزيد يبدو عليه الإرهاق هكذا
وجده يدخل ولم يغلق الباب خلفه .... اقترب عابد بحذر لينظر للداخل عن قرب
لتتسع عيناه بدهشة
أحقا ما يراه هذا صحيح ..... يزيد يبكي
هذا الوحش العملاق يبكي!!
أخذه الفضول ليتجه للداخل
شعر يزيد بقدم أحدهم تقترب منه ليظن أنها هي
رفع وجهه بابتسامة.... سريعا ما تلاشت عندما رآه
تذكره بالطبع فعلامات الضرب مازالت تاركة أثرها على وجه عابد حتى الآن
:أنت؟
:فين تولين؟
:وليش عم تسأل عنها؟
قالها يزيد بغضب مجرد ذكر هذا الشاب لاسمها يشعل النيران بداخله
:أنا بسألك ودتها فين؟؟
:مو من حقك تسأل.... مين بتكون أنت حتى تسألني عن مرتي ها
:كويس إنك فاكر إنها مراتك مش عبده عندك تحركها زي ما تحب
:مرتي وبعاملها كيف ما بدي وأنت شو دخلك
:أنا بحبها
اشتعلت عينا يزيد بغضب
:جريء كتير
:انطق هي فين
:ما بعرف
:إزاي مش عارف
:لأني طلقتها لتولين
نظر له عابد بعدم تصديق

:أنت أكيد كذاب ... أنت مش ممكن تعمل كده بسهولة
:البيت قدامك فتش عنا متل ما تحب
نظر له عابد بتعجب
أيعقل أنه طلقها!؟
كيف بتلك السهولة؟!
:طب وهي فين دلوقتي؟؟
:ما بعرف.... وما بدي اعرف أي شي عنها من هللحظة
كاذب ... كاذب يا يزيد
فقلبك يبكي دماً الآن لفقدانها .....إذا عاد بك الزمن للحظات فلم تكن لتتركها بتلك السهولة
أما عابد فخرج بهدوء وهو شارد أمامه
أيبحث عنها أم يعود إلى وطنه كما خطط
ياإلهي لما الحب بتلك الصعوبة

يا أنا يا أنا أنا وياك صرنا القصص الغريبة

يا أنا يا أنا أنا وياك وانسرقت مكاتيبي

وعرفوا إنك حبيبي..... وعرفوا إنك حبيبي

***

«القمر الرابع عشر»

كانت تسير بالشوارع والطرقات أصبح مظهرها مثير للشفقة
ملابس متسخة .... شعر مشعث ومغبر .... وجه شاحب
لكن لا يهم ..... لا يهم أي شيء الآن
فقط ما يهمها أن تكفر عن خطيئتها
حاولت الإنتحار حتى الآن ثلاث مرات لكن دون فائدة
دايما تتراجع خوفا في اللحظة الأخيرة
تظن أنها بذلك ستكفر عن خطيئتها ..... لا تدري أنها بذلك ستكفر عنها بخطيئة أكبر
كانت تجلس على الرصيف بإرهاق تنظر إلى السيارات على الطريق بتركيز حتى رأت سيارة سوداء قادمة من بعيد بسرعة
ثواني ووقفت أمامها لتصدمها
وتسقط غارقة بدمائها
***
تركت لدموعها العنان بأن تسير على وجنتيها بحرية
تنظر للصورة المعلقة أمامها على الحائط والتي يشقها شريطة سوداء
طفل صغير لم يتعدى ٨ سنوات يبتسم وهو يحتضن والدته
اقتربت من الصورة أكثر وهي تتمتم
:أنا السبب ..... أنا أسفة والله أسفة .... أنا اللي ضيعتك .... أنا اللي مفكرتش إن ممكن اللي بعمله ده يخسرني أغلى شيء في حياتي .... حقك عليا يا ابني سامحني ... وخلي ربنا يسامحني كمان ..... أنا توبت ....والله توبت
:عايدة يا عايدة
أخرجها من حزنها هتافات والدتها
أزالت عايدة دموعها سريعا حتى لا تلاحظها وحاولت رسم ابتسامة زائفة على وجهها وهي تتجه لها
:أيوه يا ست الكل
:يلا يا حبيبتي العشا جهز
:برضه يا ماما تعبتي نفسك يا حبيبتي أنا موجودة
:تعب إيه بس أنا يدوب طلعت الحاجة من الأكياس
:طب يلا بينا

توجهت عايدة نحو الكرسي المتحرك الذي تجلس عليه والدتها لتوجهه نحو الطاولة
تناولت عايدة طعامها في شرود لاحظته والدتها
:مالك يا عايدة
:ها .... أبدا يا ماما بفكر في الشغل
:ربنا يعينك ويقويكي يا بنتي
:يارب يا ماما
تناولوا العشاء في صمت
ثم اتجهت لتعطي والدتها الدواء
تلك السيدة القعيدة أصبحت أهم شيء بحياتها الآن تستمد منها القوة على الرغم من أنها سيدة مسنة لا حول لها ولا قوة لكنها تعطيها الدافع كي تقف مرة أخرى على قدمها بعد وفاة ابنها بتلك الطريقة البشعة
اتجهت لغرفتها مرة أخرى بعد أن تأكدت أن والدتها قد راحت في ثبات عميق لتمر ذكريات ذلك اليوم المشؤوم أمامها مرة أخرى
هي السبب
هي المسؤولة عن موت ابنها
تلك الأموال الحرام .... جريمتها التي لا يعلم عنها أحد ..... سكوتها عن الحق
لكنها تابت عن ذلك الآن .... تقسم أنها تابت
ولكن بعد فوات الأوان
***
كان الوقت متأخر بكندا عاد عابد ليلا ليجد والدته تنتظره بلهفة
:عابد كنت فين كل ده
:إيه يا ماما هو أنا عيل صغير ... كنت برا عادي
:احنا مش خلصنا بقى من الموضوع ده
:متخافيش يا ماما أنا كنت بسأل على مواعيد الطيران وخرجت اتمشى شوية
:يعني خلاص هنسافر
:أيوه بلغي ريما إننا هنكون في مصر بعد بكرة الساعة ٣ في مصر
:حاضر
تركها وهو يدخل غرفته لتقف هي بشرود تفكر فيما هو قادم
بيوم وليلة انقلبت حياة ابنها رأسا على عقب
سيتركان كل شيء هنا خلفهما ليعودا إلى مصر بعد فراق طويل

عادت بذاكرتها للماضي
تذكرت أول لقاء بينها وبين زوجها في مصر كانت تعشق الفن التشكيلي والرسم والألوان
تقابلا اول مره في مرسمه بالإسكندرية ولتقع في حبه منذ اول نظره لتبدأ قصه حبهم
عادت من شرودها مرة أخرى وهي تدعو له بالرحمة
أزالت دمعة خائنة هربت على إحدى وجنتيها واتجهت لغرفتها في صمت
***
حل الصباح على شواطئ الإسكندرية وبدأت ريما أول خطوة بخطوات العلاج
بعد عدد من التحاليل والعينات
بدأت ريما أول جلسات العلاج بالكيماوي كانت راقدة على سريرها
وبذراعها عبر الوريد يوجد إبرة موصلة بأنبوب
تجلس بإرهاق وهي تنظر له بامتنان منذ الصباح وهو بجانبها لم يتركها
:هتفضل قاعد جنبي كده كتير من الصبح وأنت معايا بتلف هنا وهنا للتحاليل والمعامل
:زهقتي مني
:أنا خايفة تكون أنت اللي زهقت
:لو من الناحية دي اطمني أنا مش زهقان
أتاها صوت رنين هاتفها التقطته لتجدها والدتها
خفق قلبها بخوف لا تود أن تعلم والدتها عن حالتها شيئا
على الأقل حتى تشفى تماما
حاولت أن يكون صوتها طبيعي
Mam I miss you so much:
:ريما حبيبتي وأنتي كمان وحشتيني أوي عاملة إيه
:كويسة جدا وعابد عامل إيه وحشني أوي
:خلاص مش هنوحشك تاني لأننا راجعين مصر
ماذا ؟!!!
سيعودان إلى مصر
والآن ..... لماذا؟
رباه .....بالتأكيد إذا رأتها بتلك الحالة ستنهار
:ريما .... ريما روحتي فين
:معاكي يا ماما معاكي ..... ليه ليه راجعين

:دي حكاية طويلة أوي هحكيها ليكي بعدين أما أشوفك بكرا الساعة ٣ في المطار
:ماشي يا ماما توصلوا بالسلامة
:سلام يا حبيبتي
أغلق معها الخط وهي على وشك الانهيار
:مالك يا ريما
:ماما يا خالد .... ماما وأخويا راجعين مصر بكرا
:إيه و اشمعنا دلوقتي؟
:مش عارفة .... مش عارفة .... أنا مش عايزاهم يعرفوا ..... مش عايزاهم يعرفوا أي حاجة
قالتها بانهيار وهي تبكي خوفا عليهما من الصدمة
:طب ممكن تهدي عشان كده غلط عليكي وخلينا نفكر في حل
:نفكر في إيه دول راجعين بكرا ومش هيلاقوني في المطار ولا في البيت
:أكيد هيستغربوا
:أكيد ليها حل
:مفيش غير حل واحد
:إيه هو؟
:إني ارجع البيت
:نعم والعلاج
:هبقى أجي على مواعيد الجلسات
:مينفعش يا ريما حالتك لازم ليها متابعة طول الوقت
:أومال أعمل إيه؟
:لازم يعرفوا .... من حقك أنهم يكونوا جنبك ويساندوكي فترة العلاج
:مش هقدر أشوفهم وهما يتألموا عشاني ..... مش هقدر أشوف نظرات الخوف في عيونهم عشان خايفين كل يوم يعدي يكون آخر يوم ليا
:إيه اللي بتقوليه ده ..... دول أهلك أكتر ناس هتقف جنبك وتدعيلك عشان بتحبك مش تقضية واجب والسلام ..... أنتي محتاجة ده يا ريما هو ده أساس علاجك الدعم من اللي بيحبوكي
نظرت له وقد أغشى الدمع عينيها لتبتلع تلك الغصة بحلقها ليشعر أنها مرهقه تماما ليردف
:ارتاحي دلوقتي الجلسة قربت تخلص ...وأنتي لازم تنامي شوية
امتثلت لما قال فهي حقا تحتاج الآن للنوم
ظل ينظر لها بحب حتى نامت أخيرا من الإرهاق

ليسأل نفسه نفس السؤال الذي ظل يراوده طوال الفترة الأخيرة
إلى من تنظر الآن يا خالد؟
ندى أم ريما؟
كالعادة لم يجد ردا على سؤاله ..... أو ربما كان خائفا من الإجابة
***
فتحت عيناها ببطئ نظرت حولها لتجد نفسها بمكان يبدو أنها غرفة بأحد المستشفيات
:أنا في مستشفى مش كده
:أول واحدة تفتح عينيها ومتسألش أنا فين أيوه يا ستي أنتي في مستشفى
:إيه اللي حصل؟
:عملتي حادثة وأنتي بتعدي الطريق بس الحمدلله جت سليمة والجنين كمان كويس
قالها الطبيب ليتعجب من ردة فعلها
فقد أخذت تصرخ وهي تلطم وجهها بانهيار
ليحاول منعها وهو ينادي إحدى الممرضات
:عايز حقنة مهدئة بسرعة
:حاضر يا دكتور
ما إن أعطاها تلك الإبرة حتى راحت بعدها كريمة في ثبات عميق
لتتسآل الممرضة
:هي عملت كده ليه يا دكتور
:مش عارف ..... أول ما قولتلها أن الجنين كويس بدأت تعيط وتعمل كده
:مش يمكن ..... ولا أنا مالي
:طب مش نشوف شغلنا بقى ولا هنقعد نتساهر
قالها الدكتور بحزم لتفر الممرضة من أمامه بخوف وتتجه لتكمل عملها
***
كان ينتظرها أسفل منزلها حتى وجدها تهبط لأسفل وتتجه خارج العمارة
سار خلفها دون علمها حتى ابتعدت عن المنزل
:حورية
هتف باسمها بحنين
لتلتفت هي وتجده أمامها اتسعت عيناها بدهشة ليردف
:ممكن أخد من وقتك دقيقة
:أفندم
قالتها ببرود ليتابع

:مبروك
:على إيه؟
:على الجواز
:أه.. الله يبارك فيك
: متأكدة من قرارك
ابتسمت بسخرية
:ده يمكن أكتر قرار أخده وأكون متأكدة منه
:حورية ..... أنتي مبتحبيش سامح
:دكتور أكرم أظن أن مهمتك انتهت وقت نتيجة العملية يعني وجودك دلوقتي ميعنيش أي شيء...
:اسمعيني للأخر أنا عارف إني غلطت لما اعترفتي ليا بمشاعرك وأنا رفضتها بس احنا لسه قدامنا وقت نقدر نصلح كل اللي فات
:نصلح اللي فات ..... يعني نعمل إيه؟؟
قالتها بتعجب ليجيبها بشوق
:أنتي مبتحبيش سامح أنا عارف ده يعني احنا مم.....
:ومنين حكمت إني مش بحب سامح
:لو بتحبيه مكنتيش فكرتي فيا وجيتي اعترفتيلي بحبك
:مش يمكن كانت لعبة
:لعبة!!!
:أيوه يا دكتور ... لعبة
:يعني إيه؟!!
:يعني أنا كنت ساذجة يوم ما فكرت إني أخلى سامح يغير عليا وأوهمك أني بحبك عشان كنت فاكراه بطل يحبني بس أنت حتى وقتها مدتنيش الفرصة دي ورفضت
:نعم ..... يعني كل اللي قولتيه واللي حسيت بيه ناحيتك كان ....
:كان لعبة يا دكتور
:حورية أنتي بتقولي كده عشان تردي ليا اللي عملته فيكي في المستشفى صح
:عشان منضيعش وقتك ووقتي يا دكتور كل اللي قولته وسمعته مني في المستشفى كان كذب
:كذب!!
:أيوه ..... أنا عمري ما حبيتك .... هو صحيح لعبتي كانت سخيفة شوية معاك لكن ... أنا أسفة

ابتسم أكرم بألم
ليرفع يده وهو يسفق لها بطريقة مسرحية
:لا برافو .... فعلا برافو.... لعبة وأنتي لعبتيها بشطارة
نكست رأسها لأسفل في خزي
:أنا أسفة
ابتسم بسخرية وهو ينظر لها
:أسفة ..... بجد .... لا كتر خيرك حصل خير
:أكرم .....
:أخرسي ..... أنا بس عايز أقولك حاجة واحدة إذا كانت فعلا مشاعر الناس عندك لعبة وإذا كنت أنا أهبل قبل كده وبحبك فا أنا دلوقتي بكرهك وبحتقر نفسي إني حبيت في يوم من الأيام واحدة زيك
قالها وهو يمسك ذراعها بغضب ثم نفضها بحدة من بين يديه حتى كادت أن تسقط أرضا
ليتركها ويرحل وهو يدعي الثبات
ثبات خارجي أتقنه ببراعة أما بداخله كانت ثورة هوجاء من المشاعر المختلطة من ألم وحزن ووجع
وبداخله سؤال واحد
كيف .... كيف لها أن تمتلك كل تلك الجرأة أن تلعب بمشاعر الآخرين
كفايا يا أكرم هي لا تستحق كل هذا التفكير وكل تلك المشاعر
في الحقيقة مثلها لا يستحق أي شيء.....أي شيء
سوى النسيان .....
وكأنه كتب على قلوبنا أن تظل غريبة دائما على أحبائها
***
بالمشفى كان طارق وخالد يستعدان لإجراء عملية جراحية
أثناء التعقيم لاحظ خالد علامات الإرهاق والتعب على طارق بجانب تلك الهالات السوداء الواضحة حول عينيه
:مالك يا طارق
:مالي ماأنا كويس أهو
:شكلك تعبان أوي لو مش قادر روح ارتاح وخلي حد يجي مكانك
ترجم طارق جملته تلك بشكل خاطئ ظن أن خالد يحاول أن يقلل من قدراته ليجيبه بانفعال
:ليه إن شاء الله هي دي أول مرة نشتغل واحنا تعبانين ولا دي أول مرة أدخل عمليات

:أنا مش قصدي على العموم تمام يلا بينا
اتجه كل منهما لإجراء العملية التي استمرت قرابة الساعة ونصف
كان طارق يخيط أحد الجروح لينظر له خالد مع جميع الممرضات بتعجب وهو يدندن
:أهواك وأتمنى لو أنساك وانسى روحي وياك وإن ضاعت يبقى فداك لو تنساني
صرخ خالد بالممرضات وهو ينظر إلى طارق
:كل واحدة تركز في شغلها يلا..... مالك يا طارق أنت كويس
:إيه مالي؟
:لا أبدا أصلك بتشتغل وأنت رايق أوي
:وهو فيه أحلى ولا أجمل من الروقان
:أه فعلا عندك حق
:أنا كده خلصت
قالها طارق وهو يخلع القفازات وأدوات التعقيم ليرحل تحت أنظار الجميع المتعجبة
في نفس اللحظة .....
كانت تقف هي أمام مرآة الحمام بيدها تلك الماكينة تضغط على زرارها لتعمل ثم تغلقها مرة أخرى بتردد
تنظر للمرآة وهي تبكي .... تبكي كما لم تفعل من قبل تركت لنفسها العنان للانهيار
فالأيام القادمة لن تملك تلك الرفاهية لذلك أمام عائلتها
صرخت وحطمت كل شيء حولها
ثم توقفت لثواني وهي تنظر لنفسها بعد أول جلسة تلقتها للعلاج
وجدت أنها لن تملك القدرة على رؤية شعرها وهو يسقط بل ستفعل ذلك بنفسها
لكن هل تمتلكي القدرة على ذلك أيضا يا ريما
نعم أقدر ..... سأفعلها
ضغطت على الزر وبدأت بإزالة شعرها بكل هدوء
تعجبت من نفسها أنها لم تبكي .... لم تصرخ ..... ولم تتردد وهي تزيله
لم يستغرق الأمر ثواني حتى انتهت
نظرت لنفسها بالمرآة وهي بهيئتها الجديدة
لتبتسم بسخرية وهي تخبر نفسها
:هههههههه .....دلوقتي بقيتي ست في البطاقة بس هههههه

ظلت تضحك بهستيريا وهي تنظر إلى شعرها المتساقط حولها أرضا
التقطت بعضه بين يديها ثم عادت تبكي وتصرخ مرة وتضحك بشكل جنوني مرة أخرى
تبكي .... وتضحك .... تبكي .... وتضحك
وكأن مشاعرها المضطربة تركت لنفسها العنان للخارج
عجزت قدميها عن الوقوف لتجلس أرضا بإرهاق
كان خالد يطرق باب غرفتها عدة مرات حتى سقط قلبه بين يديه عندما لم يجد منها أي رد
دخل سريعا وهو يهتف باسمها .....عجبا أين هي؟
سمع صوتها وهي تبكي خلف باب الحمام
طرق عدة طرقات وهو يهتف باسمها مرة أخرى بخوف
:ريما ..... ريما أنتي كويسة ....ريما ردي عليا لو سمحتي .....ريما لو مردتيش أنا هفتح الباب
لا رد ..... حسنا لم تترك له خيار آخر
فتح الباب فجأة ليشهق بصدمة وهو يراها بتلك الهيئة
يا إلهي ..... ماذا فعلت؟
ركض تجاهها بشفقة وهبط بجانبها أرضا
:ريما إيه اللي عملتيه ده؟
:أنا وحشة يا خالد صح ..... شكلي بقى وحش .... مش عايز تبص في وشي
قالتها بين شهقات بكائها ليحتويها بين زراعيه بحنين وهو يجلس بجانبها
:اهدي يا ريما اهدي .... كل شيء هيرجع زي الأول
:أنا بقيت وحشة أوي
:أنتي أحلى واحدة في الدنيا ..... مهما حصل ومهما هيحصل أنتي هتفضلي أجمل واحدة في الدنيا
:أنت بتجاملني
:لو الحلاوة بالنسبالك في شوية شعر فهو هيطلع تاني وهترجعي أحلى من الأول كمان
رفعت رأسها إليه لتنظر له بعيون دامعة
وكانت دموعها كحد السكين بقلبه
ظلا على هذا الحال لدقائق ..... هي لا تكف عن البكاء وهو يحتويها بين زراعيه في صمت
حتى كسرت هذا الصمت وهي تخبره

:ماما هتوصل بكرة .... هتشوفني وأنا كده
:في الأول هتكون صدمة عليها لكن واحدة واحدة هتتقبل الموضوع
:فكرك هتقدر
:أكيد هتقدر ..... وبعدين صحيح أنا كنت جاي عاملك مفاجأة إيه النكد اللي احنا دخلنا فيه ده
:مفاجأة إيه؟
:تعالي
جذبها من زراعها للخارج جعلها تجلس على سريرها
:صاحبتك جاية تونسك
نظرت له بتعجب!!
:صاحبتي مين؟
تركها ثواني ليفعل شيئا ما ثم شهقت بسعادة وهي تسمع حقا صوت صديقتها يعلو بالمكان
:إيه رأيك؟
:فيروز
:وأنا مش موجود معاكي شغليها تونسك على بال ما أجي
:أكيد هعمل كده
قالتها وهي تنظر داخل عينيه بحب
لأول مرة يرى تلك النظرة بعينيها
ولأول مرة معها ينسى زوجته الراحلة
هي الآن ريما .....وريما فقط

أنا لحبيبي وحبيبي إلي
يا عصفورة بيضا، لا بقى تسألي
لا يعتب حدا ولا يزعل حدا
أنا لحبيبي وحبيبي إلي
***

«القمر الخامس عشر»

:عاملة إيه النهاردة؟
:بخير الحمدلله يا دكتور
:خلاص يا ستي يومين بالكتير نتطمن إنك أنتي والبيبي بقيتوا كويسين وتخرجي من هنا
:أنا مش عايزة العيل ده.. عايزة أنزله .... الله يخليك يا دكتور
:أنتي بتقولي إيه أنتي مجنونة دي جريمة
:الجريمة اللي بجد هي اللي هتحصل لو العيل ده جه
:أنا أسف جدا مقدرش أعمل اللي بتقوليه ده.... ومعتقدش إن فيه حد عنده ضمير هينفذ ليكي اللي أنتي عايزاه وياريت تراجعي نفسك وتفكري كويس قبل ما تعملي الجريمة دي في حق روح ملهاش ذنب.
قالها بغضب ثم تركها ورحل
لتدخل في وصلة بكاء لم تنتهي حتى راحت في ثبات عميق

***

كل شيء محطم .... حتى قلبه

أخرج كل ما بداخله من غضب بتلك الغرفة
لوحات ممزقة .... شظايا زجاج متناثرة ..... الغرفة محطمة بالكامل
جلس بالأرض بإرهاق بعدما أخرج كل ما بداخله
ينظر إلى صورتها إلى رسمها لها يوما ما بعد أن مزقها إلى أجزاء صغيرة
لما وضعكِ القدر بطريقي
أحمق يا أكرم ..... لقد سمحت وبكل سذاجة أن تتلاعب إحداهم بك
لقد تمرد قلبي علي مرة واحدة فقط ولن أسمح لنفسي أن أقع في هذا الخطأ مرة أخرى
فلا وقت عندي للحب .... لا وقت للسخافات
ولن أغفر .....
***
تجلس أمامه بشرود تتذكر ما حدث بينها وبين أكرم
كم كنتي قاسية معه يا حورية
لكن كان يجب على فعل ذلك حتى لا يتعلق بي
أكرم يستحق الأفضل
يستحق فتاة تحبه وتعشقه من قلبها
أما أنا قلبي لن ولم يكن سوى لسامح
:أنا فرحان أوي ومش مصدق إنك أخيرا هتكوني ليا وعلى اسمي بكرة
نظرت له بابتسامة لم تخلو من الحزن
:وأنا كمان يا سامح فرحانة أوي ..... سامح أنت ...أنت متأكد أن مامتك فرحانة بجوازنا
:إيه اللي يخليها مش فرحانة
:مش عارفة .... حاسه إنها متغيرة معايا
نظر لها بتشتت
ماذا يخبرها أنه أيضا يشعر بنفس الشيء.....
حاول إضافة بعض المزاح إلى الحديث حتى لا تفسد فرحتهما الآن
:هي أكيد غيرانة منك عشان هتاخدي منها ابنها الوحيد
:تفتكر
:طبعا أومال هيكون ليه
حاولت رسم الابتسامة على وجهها وهي تنظر أمامها بشرود كما فعل هو
***
أصبحت حالته لا يرثى لها شعر مشعث هالات سوداء حتى عمله أهمله لدرجة كبيرة

أصبح يدمن الخمر بعد أن كان قد وعد نفسه أنه سيبتعد عنه من أجلها دون أن يخبرها
نظر أمامه بشرود يتذكر جميع الأوقات التي جمعت بينهما حتى وإن كان يرى دايما الحزن في عينيها لكن يكفي أنها كانت أمامه وبين يديه
لكن أين هي الآن؟
كيف حالها؟
هل تتذكره .... كما لم ينساها هو
هل تلعنني
أم أنها تحاول أن تتخطى ذكراي برجل آخر
عند تلك النقطة اشتعلت عيناه بغضب ليضغط على الكأس بين يديه بعنف حتى انكسر ليجرح يده
هنا اقتربت منه الفتيات بدلال
OMG….. are you okay :
Go to hell:
أزاحها عن طريقه بعنف ليترك المكان ويرحل بغضب حتى أنه لم يهتم لجرح يده
***
كعادتها منذ أن اختفت ابنتها وهي تسير بالشوارع تبحث عنها نهارا و تجلس تبكي بمنزلها بمفردها ليلا
: يارب ردهالي سليمة يارب ..... أنا مسامحاها ... دي بنتي يارب
طرق أحدهم باب منزلها لتركض بلهفة نحوه لتفتحه
:ها يا ابني لاقيتها
قالتها لذلك الطبيب الشاب الذي أخبرها بحمل ابنتها من قبل
:أبدا والله يا أمي مفيش حد قادر يدلني عليه بس متقلقيش إن شاء الله هدور تاني وهلاقيها وهترجعلك بإذن الله
كان يبدو عليه الإرهاق
شعرت بالشفقة لأجله ..... والذنب من نفسها
:أنا أسفة يا ابني حقك عليا أنا تعبتك معايا .... ارتاح أنت وأنا اللي هدور عليه وعليها
:أنا مش تعبان يا أمي .... هكمل بكره وبنتك هترجعلك سليمة إن شاء الله
:لا يا حبيبي كتر خيرك ارتاح أنت ..... أنا عرفت ممكن ألاقيها فين .....
:اللي زي دول مش هتلاقيهم غير وسط الزبالة
ساد الصمت لحظات ليطرق رأسه بأسف لها

:طيب ...زي ما تحبي .... بس خليكي فاكرة يوم ما تحتاجيني أنا جنبك
:ربنا يحفظك ويحرصك ويسعد قلبك يا حبيبي
:تسلمي يا أمي ... عن إذنك
تركها ورحل ولم تتوقف هي عن الدعاء له بالفرح وراحة البال
***
يهاتفه للمرة التي لا يعلم عددها والنتيجة كالعادة الهاتف مغلق أو غير متاح
:فينك يا أكرم بتهبب إيه من ورايا
:ها مش بيرد برضه
:أبدا يا عم حليم
:متقلقش شوية وهتلاقيه داخل علينا وشكله مبهدل وتحت عينه أسود من قلة النوم
:هههههه .... تفتكر
:هنشوف العب العب
:أنت مش بتزهق يا عم حليم وأنت عارف إنك هتتغلب
:أهو بلعب على أمل إني أغلبك في يوم من الأيام
ثواني ودخل عليهم أكرم وكانت حالته كما وصفها عم حليم لا يرثى لها
:أكرم فينك يا ابني دوختني عليك من الصبح
:أنا قدمت استقالتي
:إيه .....أنت اتهبلت
قالها خالد ليتبعه عم حليم بأسف
:ليه يا ابني كده
:عايز أنسى أي حاجة تفكرني بيها
:ليه إيه اللي حصل
:طلعت بتضحك عليا يا خالد .... بتغيظ خطيبها عشان كانت فكراه مبقاش يحبها
:تقوم تضيع مستقبلك عشانها
:صدقني كده أحسن يا عم حليم
:إيه شغل العيال ده
:هو ده الصح يا خالد
:أنت عمرك ما أخدت خطوة وأنت مش حاسبها كويس
:هفتح عيادتي القديمة
:بس دي محتاجة شغل وتوضيب كتير أوي ومعدات جديدة
:كله هيجهز متقلقش

:ده أنت مخطط من زمان بقى مش عشانها
:لازم أبدأ كل حاجة من جديد
:متأكد إن ده الصح
:أيوه .... وأرجوك يا خالد خليك معايا الفترة دي
:أنا في ضهرك دايما يا أكرم
:ربنا يكتب لك اللي فيه الخير يا ابني ويبارك لك في الخطوة دي
:يارب يا عم حليم يارب
نظر خالد بأسف على حال صديقه
ومن داخله يعلم أن أكرم أقوى منه بكثير ويستطيع تخطي تلك المحنة
***
كان يمر على الغرف أخذه الفضول ليمر على غرفتها
اختلس النظر إليها من خلف الزجاج كانت تنام بإرهاق
يا إلهى الشبه حقا كبير إلى درجة مخيفة
:افتكرتها
شهق طارق بفزع وهو يستدير للصوت
:في إيه يا عايدة
:كأن الزمن بيعيد نفسه صح
:لو عندك حاجة مهمة قوليها معندكيش اتفضلي
:راجع نفسك يا طارق قبل ما تضيع كل حاجة
:أنا مش فايقلك يا عايدة
:أنت حر بس اوعى تنسى إني نصحتك قبل كده
قالتها ثم تركته ورحلت دون اهتمام
***
تجلس مع زوجها أمام التلفاز تنظر له بين الحين والأخر بحزن تتذكر هتافه باسمها ليلا وهو نائم
ذهابه لزيارتها كل يوم
رغم رحيلها منذ أكثر من اثني عشر عاما إلا أنه لم ينساها لم تغيب عن باله يوما
ترى الحزن في عينيه كلما تذكرها
تسأل نفسها كل يوم
لما لم يحبها هي ..... ما الذي يميز تلك المرأة توصلها أن يذكر اسمها حتى بمنامه
كثيرا ما تشعر أنه يعيش معها لأجل العشرة التي جمعتهما فقط؟

ماذا فعلت حتى تستحوذ على عقله وقلبه حتى بعد موتها؟
:أنا فرحان أوي إن خلاص الولاد هيتجوزوا يا عالية
:أه .... أه وأنا كمان
:مع إني حاسس إن معاملتك للولاد اتغيرت في الفترة الأخيرة
:ليه حد قال حاجة
:من غير ما يقولوا يا عالية باين عليكي
:ده متهيألك لكن أنا مبسوطة أوي
:أنا متأكد يا حبيبتي .... أنا داخل أنام بقى أحسن هنصحى بكرة بدري عشان كتب الكتاب
تركها ودخل لتدخل هي في بكاء مرير وهي تنوي غدا تنفيذ قرار قد تأخر كثيرا
يكفيها وجع إلى هذا الحد
***
كان الصباح قد حل بكندا استيقظ يزيد بتعب
نظر بجانبه على السرير لينتبه لإحدى الفتيات تنام بين أحضانه عارية كما هو أيضا
نظر لها بصدمة وحاول تذكر ما حدث أمس دون جدوى
ظل ينظر لها لثوان
حتى رأى تلك الفتاة تستيقظ
اقتربت منه بدلال وهي تحتضنه من الخلف
Good morning baby :
نظر لها يزيد بوجه جامد وهو يخبرها
Do you marry me ?:
نظرت له بتعجب
كما تعجب هو أيضا من نفسه لما قال
لكنه قد أقنع نفسه بأنها محاولة جيدة لنسيان من استحوذت على قلبه وعقله ولم تتركه حتى الآن
ليجد تلك الفتاة التي لا يعرف حتى اسمها تتسمع ابتسامتها وهي تشدد في احتضانه
***
بعد الكثير من البحث المتواصل أخيرا علمت مكان هذا المدعو فتحي
كانت تصعد السلالم إليه على أمل أن تجد ابنتها هناك طرقت الباب عدة دقات فلم تجد رد كانت الغرفة الوحيدة على سطح أحد المنازل القديمة

ظلت جالسة هناك حتى منتصف الليل
إلى أن غلبها النعاس
كان يترنح وهو يصعد السلالم وصل إلى باب غرفته ليجد جسد احدهن نائما على الأرض اقترب من وجهها بتفحص ليجدها والدة تلك الفتاة الحمقاء
ظل يهزها بقدمه ليزيحها عن طريقه
:أنتي يا ست يا خرفانة أنتي .... اصحي
استيقظت بتعب لتتذكر أين هي قامت سريعا لتسأله بلهفة
:فتحي ... بنتي ... بنتي فين أبوس إيدك دلني عليها
:بنتك إيه يا ست أنتي ... أنتي جاية ترمي بلاكي عليا
:أبوس إيدك ... أبوس رجلك قولي بنتي فين لو عايز تتجوزها أنا موافقة بس عرفني هي فين
:اتجوز مين يا ولية يا مجنونة أنتي أنا اتجوز واحدة زي بنتك روحي شوفيها هربت مع مين وربيها
:اخرس ... أنت اللي ضحكت عليها ... أنت اللي ضيعتها منك لله حسبي الله ونعم الوكيل.... حسبي الله ونعم الوكيل
جذبها فتحي من ذراعها بعنف وهو يهتف بغضب
:بقولك إيه يا ولية أنتي..... أنتي لو ما مشتيش من هنا أنا هفضحك أنتى وبنتك فاهمة .... ومش عايز أشوف خلقة واحدة فيكم هنا تاني
نظرت له بخوف لترحل من أمامه بانكسار وهي تبكي ولم يكن على لسانها سوى الحسبان عليه والدعاء أن يدلها الله علي ابنتها
: حسبي الله ونعم الوكيل..... حسبي الله ونعم الوكيل
***
يجلس بمنزله يتذكر يوم فراقها عنه
يتذكر شجارهما دائما أن ما يفعله لن يجني منه سوى الحسرة والندم
كانت تهدده دائما بالفراق
أما هو لم يكن يأخذها على محمل الجد
فهما يحبان بعضهما حد العشق
لم يكن يتخيل حتى بأحلامه أن تأتيها الجراءة لفعل ذلك
هجرته ولم تهجره وحدها بل أخذت قطعة منه معها ابنته الوحيدة
حتى الآن لا يعلم مكانها لكن دائما ما يأتيه احساس بأنها أقرب إليه من روحه
كان ينظر إلى آخر صورة جمعتهما سويا مع ابنتهم

:أنا أسف يا رحمة أسف
قالها طارق والدموع ملئ عينيه
:مكنتش أعرف إن الطريق ده ممكن يوصلك إنك تبعدي عني .... بس أنتي كمان كنتي غلط ... أنتي عايزه تعيشي في عالم مثالي كل حاجة فيه صح ....أنا بقى فاهم الدنيا أكتر منك إيه يعني لما أعمل كام حاجة في الخفى من غير ما حد يعرف عشان نقدر نعيش ... بس .. بس أنا اتغيرت .... وبطلت ده من زمان .... من ساعة ما مشيتي وسبتيني .....ارجعيلي وأنا هثبتلك إني اتغيرت
ظل ينظر إلى صورتها مطولا ليصرخ بها فجأة
:متبصليش كده عارف إني لسه مبطلتش الزفت اللي باخده .... بس هو ده اللي مصبرني على فراقك .... لولاه كنت قلبت الدنيا كلها عليكي لحد ما ألاقيكي وأخنقك بأيدي عشان قدرتي تبعدي عني ..... إزاي .... إزاى قدرتي تبعدي عني مش من حقك .... لا لا خلاص أنا أسف ...أسف أرجوكي ارجعي .... وصدقيني المرادي هتغير بجد
ظل يهزي أمام صورتها كالمجانين يحادث شخصا غير موجود حتى نام وهو يحتضن صورتهما كالأطفال

طلّْ وسألني إذا نيسان دقّْ الباب
خبَّيت وجِّي وطار البيت فيِّي وغاب
حبَّيت أفتحله.. وعالحبَ اشرحله
طلَّيت ما لقيت غير الورد عند الباب
***

«القمر السادس عشر»

بالمطار ينتظر خالد أهل ريما كما وعدها كان ينظر إلى وجوه العائدين يحاول التعرف عليهم كما رآهم بالصور على هاتفها
وجد أخيرا سيدة رغم كبر سنها إلا أنها مازالت تحتفظ بجمالها الطبيعي كانت تشبه ريما كثيرا ليخمن أنها والدتها أما ذلك الشاب فهو بالتأكيد أخيها اقترب منهم بهدوء
:حمدالله على السلامة
:الله يسلمك مين حضرتك
قالها عابد
:أنا خالد نبيل آنسة ريما هي اللي بعتاني عشان أوصلكم من المطار بنفسي
:ليه وبنتي فين؟!
:اتفضلوا معايا في الطريق هتفهموا كل حاجة
نظر كلا من عابد ووالدته إلى بعضهما بتعجب إلا أنهما رضخا له بالأخير ظل الشك والخوف ينبشان قلوبهما وهما يتجهان معه خارج المطار
طوال الطريق لم تكف والدتها عن سؤاله إن كانت ابنتها بخير أم أصابها مكروه
كان خالد بموقف لا يحسد عليه الآن
ليتوتر وبدأت حبات العرق تملأ جبينه وهو يخبرهما أنها بخير
حاول أن يشغلهما بالحكي عن يوم افتتاح المرسم وكم كانت جميلة وسعيدة بهذا اليوم حتى يصل بهما إلى المشفى
اتسعت أعينهما بخوف عندما توقف خالد أمام المشفى
تأكد الاثنان الآن أن ريما ليست بخير
:أنت جايبنا هنا ليه؟
قالها عابد بخوف لتردف الأم
:بنتي فين .... احنا بنعمل إيه هنا؟
:ممكن تهدوا ..... ريما دلوقتي محتاجة لدعمكم ووقوفكم جنبها
:أنا بنتي فيها إيه؟؟
:اتفضلوا معايا وهتعرفوا كل حاجة
اتجه بهما خالد للداخل يحاول أن يشرح لهما بهدوء وضع ريما, وكم تحتاج الآن إلى كل لحظة حب ودعم من أقرب الأشخاص إليها,
أما عنها فكانت تجلس بغرفتها بتوتر تستمع لصوت فيروز الذي يرتفع من خلال المسجل الصغير الذي أحضره لها خالد كهدية ربما يبث بداخلها بعض الهدوء.

تنتظر دخولهما بأي لحظة كانت ترتدي قبعة من الصوف تخبئ بها مظهر رأسها وتلف حول رقبتها كوفية والدتها الزرقاء
ثواني واستمعت لصوت الباب ينفتح وأقدام أحدهم تقترب
لتصرخ بسعادة
:ماما
:ريما حبيبتي
ارتمت ريما بأحضان والدتها
:وحشتيني.. وحشتيني أوى أوى يا ماما
:أنتي كويسة
:أوي يا ماما .... أوي
كان عناق يحمل الكثير من الحب والأمان والحنين
كم كانت كلا منهما تحتاج إلى هذا العناق الآن
:إزاى متقوليش .... إزاي كنتي عايزه تتحملي كل ده لوحدك إزاااي
:خفت ... خفت عليكم أوي ..... عابد وحشتني
ركض عابد نحو شقيقته ليرتمي بأحضانها وهو يبكي
:يا حبيبي أنا بخير متخافش عليا
ظل يبكي كالأطفال لم تخرجه من أحضانها بل ظلت تربت على كتفه بحب
هربت دمعة من عين والدتهما لتزيلها سريعا
فالآن لا وقت.... للضعف .... الاستسلام .... فقط الحنان والكثير ... الكثير من الدعم
هما أكثر الأشياء التي يحتاجها أبنائها الآن
كان يقف خالد بعيدا يراقبهم بحنين لم يخلو من الشفقة على تلك العائلة
لكنه تركهم عندما سمع صوت إنذار المشفى يخبرهم عن دخول حالة جديدة تحتاج إلي طبيب سريعا
ركض خالد وطارق ناحية الترولي سريعا ليسأل الأخير
:الحالة إيه؟
:حادثة عربية خرجناه منها في ساعة بسبب وزنه الكبير وفيه كسر في العمود الفقري
:تروما ١ يلا
قالها خالد ليخبره طبيب الإسعاف
:الضغط ٩٠/٦٠ والنبض ١١٠
:لازم يروح الأشعة حالا
قالها طارق ليتجه الجميع به إلى غرفة الأشعة

مر الوقت .....
واتجه طارق وخالد بالمريض إلى العمليات
اتجهت الممرضة إليهم بالأشعة ليهتف خالد بصدمة
: ٣ فقرات مش في مطرحهم
:الموضوع كده هيبقى صعب
:لازم نعمل العملية يا طارق وإلا هيروح مننا
بدأ خالد وطارق في العملية ويعمل كلا منهما بتركيز شديد
:الضغط بيوطى بسرعة يا دكتور
قالتها الممرضة ليصرخ بها طارق
:اديه أمبول فازوبرسين وعلقي كيس دم وابعتي هاتي كيسين كمان
:إيه دا؟!!
قالها خالد بصدمة وهو يمسك بشيء صغير ملطخ بالدماء في يديه
:الفقرة مفتفتة
:مع إنها باينة في الأشعة إنها سليمة
:هاتي شريحة رقم اتنين بسرعة
قالها خالد لإحدى الممرضات ليخبره طارق
:الراجل ده شكله.....
:هيتشل
:النبض ٨٠/٥٠
قالتها إحدى الممرضات ليردف طارق
:حالة القلب مش عجباني لازم نوقف
:لازم اثبت الفقرتين
:مش هينفع يا خالد لازم نوقف أنا ظاهر عندي Atrial Fibrillation
نظر له خالد بتوتر
:طيب ودوه على العناية لحد حالته ما تستقر
خرج خالد وطارق من العناية بإرهاق ليشعر طارق بأن جسده الآن يحتاج لجرعة جديدة من تلك المادة المخدرة التي أصبح يدمنها بشكل مخيف
مؤخرا ليختلس نظرة أخيرة إلى خالد ثم يتركه ويرحل
***
:بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير
تعالت الزغاريد والهتافات فرحا
أخيرا تزوج العاشقان.....
اقترب والد سامح يبارك لهما بفرح

:فين ماما يا بابا
:والله يا ابني ماأنا عارف كانت لسه هنا .... هروح أشوفها وأجي
اتجه والده بحثا عنها ليجدها بغرفتهما تقف أمام الشرفة الصغيرة تنظر للبحر بحزن
:عالية مش تباركي للولاد
:الكتاب اتكتب خلاص صح
قالتها وهي تبتسم بهدوء ليجيبها بنفس الإبتسامة
:أيوه يلا تعالي باركلهم مش معقول يزعلوا منك في يوم زي ده
كاد أن يجذبها من يدها لتوقفه بسؤالها الغريب
:أنت فرحان طبعا مش كدة
نظر لها بتعجب
ما بها عالية
لما تتحدث هكذا .... هدوئها مريب
:أيوه طبعا مش كتب كتاب ولادي
:لا ... ده عشان حورية تبقى بنت حبيبة القلب
:نعم!!
:أيوه دي الحقيقة اللي فضلت ساكتة عليها سنين ..... سنين وأنا في نار بتاكل في قلبي وساكتة بصبر نفسي كل يوم إنك هتنساها وتحبني أنا ... أنا اللي عشت معاك عمري كله وضيعته عليك أنت وابني برضه مقدرتش أخد في قلبك جزء من اللي هي أخدته .... ليه فيها إيه مش موجود عندي عشان تحبها كل الحب ده
كانت تتحدث بحرقة
بقلب مفتور من الألم
رأت أيام عمرها تضيع هباءا مع رجل أحبته من كل قلبها
ليخون ذلك الحب من كل قلبه
يشغل عقله وقلبه أخرى رحلت عن عالمنا
كان ينظر لها بصدمة
:عالية .... أنتي .....
:أيوه ... أيوه كنت عارفة إنك بتحب فريدة أم حورية وإنك فكرت تتجوزها بعد أخوك ما مات وعارفة كمان إنك بتزور قبرها كل فترة ده غير اسمها اللي بتقوله كل يوم وأنت نايم أنا بموت بموت كل يوم ..... صعب على ست إنها تعيش مع راجل وتسمعه كل يوم وهو في حضنها بينطق اسم

حبيبته ..... أنا عارفة إنك محبتنيش يا منصور وده مش ذنبك وصدقني أنا مش زعلانة منك بس هزعل بجد لو محققتليش طلبي
نظر لها بهدوء وهو يضع كفيه في جيب بنطاله ويتساءل
:اللي هو إيه بقى؟
:طلقني يا منصور
نظر لها بصدمة!!
آخر شيء كان يتوقعه الآن تطلب أن تبتعد عنه
بعد كل هذا العمر لم تفهم
:أنتي اتجننتي يا وليه!!
:منصور أرجوك .... أنا مخنوقة ومش قادرة استحمل أرجوك طلقني مش هقدر أشوف حورية قدامي وهي واخده ابني مني زي ما أمها أخدتك ولسه واخداك كمان مني
:خلصتي؟
:خلصت
:طيب اسمعي أنتي بقى يا عالية يمكن صحيح أنا حبيت فريدة جدا وكان نفسي أتجوزها من زمان وبعترف أني في وقت من الأوقات كنت بحس بالغيرة من أخويا .....يمكن احنا أه متجوزناش عن حب لكن.....
وحياة السنين اللي جمعتنا سوا وحياة أحلى حاجة حصلت في حياتنا وهي ابننا سامح وحياة العشرة اللي بينا إن مع مرور الأيام اكتشفت إني مقدرش استغنى عنك أنا بتوه من غيرك يا عالية أنا من غيرك عامل زي العيل الصغير اللي محتاج أمه طول الوقت ... أنا صحيح بفتكر فريدة ساعات لكن أما بروح المقابر بروح عشان أعتذر لأخويا على مشاعري ناحية مراته..... بس ده ممكن نسميه حنين مني لمشاعر حسيتها ناحيتها بس أنتي فجأة بتظهري قدامي حبك اللي اتولد جوايا مع العشرة كان أقوى من حبي لفريدة صدقيني يا عالية.
قالها بحب صادق قوي ولد مع مرور الأيام التي جمعتهما سويا
ولد من المواقف، المِحن، الأزمات التي مروا بها معا خلال عشرتهم سويا
ظلا ينظران لبعضهما
كانت النظرات تتحدث بصدق أكثر من الكلمات
هو يخبرها ألا تتركه
وهي تخبره أنها لا تستطيع
لتتسع أعينه بخوف وهو يسمعها

:مقدرش يا منصور صدقني مقدرش ..... لو فضلت معاك كل أما ابصلك
هفتكر الماضي وصدقني أنا وصلت لمرحلة قلبي مش قادر يستحملها لو
حبتني صحيح ارحمه وارحمني ..... المأذون اللي جوز الولاد هيطلقنا
ظل ينظر لها بصمت
كم أنتي عنيدة يا عالية؟
تريدين الابتعاد عني
حسنا سأرضخ لطلبك ....
:طيب احنا ممكن نأجل الطلاق ده شوية ...بعد فرح الأولاد مش معقول
ننكد عليهم في أحلى أيام حياتهما
:لحد فرح الأولاد ما يخلص أنا مش هقعد هنا
:هتروحي فين
:بيت أبويا القديم لسه موجود
:هتقدري تبعدي عن سامح
:يقدر يجيلي وأقدر أشوفه في أي وقت
:وهتقدري تبعدي عني
صمتت ولم تجيب لتشيح بوجهها بعيدا عنه
:طيب تعالي نبارك للأولاد عشان ميحسوش بحاجة
***
كان يقف ينظر لكل شيء نحوه بصبر
حسنا العيادة ستحتاج الكثير من العمل
والكثير والكثير.....من التنظيف
سمع صوت أحدهم خلفه
:يااااااه بقالي زمان مجتش هنا
:عرفت منين إني هنا
:قلب الأم يا حبيبي
:هههههه ..... يا حنين
:طول عمري أنت عارف
:قولي ريما بقت عاملة إيه دلوقتي
:يعني نفسيا بقت أحسن
:طب كويس عديت نص الطريق
:أنت بتغلوش عشان مسألش عن أحوالك صح
:مالها أحوالي يا خالد ماأنا كويس أهو
:متأكد؟

أومأ أكرم برأسه بإيجاب ليربت خالد على كتفه بدعم
:ماشي يا سيدى
***
تتحرك حوله بالمنزل بأريحية كأنها ملكة المكان
بالطبع يحق لها هو من سمح لها بذلك
أين كان عقلك يا يزيد عندما عرضت على فتاة كهذه الزواج
فتاة تعرفت عليها بأحد البارات وأنت ثمل
لتشاركها نفس الغرفة ونفس الفراش الذي جمعك مع تولين
كيف تجرؤ؟
كان ينظر لها باشمئزاز وهي تتحرك حوله بدلع لتحاوط رقبته بيدها
وتحتضنه من الخلف
يعلم جيدا ماذا تريد
ليحاول التهرب منها
I will go out :
I will miss you baby :
اختلس إليها نظرة أخيرة ثم رحل
تحت أنظارها المتعجبة.
***
: يا ماما دي المرة ال ٦٨اللي تسأليني فيها أنا كويسة ولا لا
:خليهم ٦٩ وجاوبيني
:حاضر .... أنا تمام يا ماما وكويسة جدا جدا
:مش مصدقاكي
:أيووووووه عليكي
:بس كده هي كويسة أوي العرق الإسكندراني طلع
:قولها يا عابد
:هههههه .....خلاص بقى يا ماما ماهي زي الفل أهي
:الله أكبر ..... الله أكبر
:الله أكبر يا ستي ..... بس قوليلي يا ريما الدكاترة هنا شكلهم مهتمين بيكي
:طبعا يا ابني وأنا أي حد ولا إيه ده أنا مريضه vip
:اتنيلي أنتي حد يعرفك غيرنا
:أيوه ٣ أصحابي تانيين
ظلوا معا طوال اليوم

كانت الأم تختلس بعض النظرات من وقت لأخر إلى تلك القبعة الصوف على رأس ابنتها
وصل للأم جيدا سبب ارتداء ابنتها لها لكنها لم تعلق عليها
لم ترد أن تجرح مشاعرها لذلك تركتها على راحتها حتى تكتسب الجرأة وحدها وتخلعها أمامهم
لتتدارك بصعوبة تلك الدموع التي أغشت عينيها وهي تحاول رسم البسمة على وجهها طوال الوقت
***
حل الليل وقد كان كلا من خالد وطارق يستعدان لإجراء العملية لذلك المريض الذي حاولوا إسعافه بالصباح لكن قلبه لم يتحمل ليذهب إلى العناية
:ربنا يستر المرة دي
قالها خالد لتهتف إحدى الممرضات
:الضغط normal يا دكتور
:كويس ..... طارق أنا هبتدي أفتح وسع معايا من الناحية دي لحد ما نثبت الفقرة ونقفل
:تمام
:استمروا بالعمل لمدة ربع ساعة ليعلو صوت طارق
:إيه النزيف ده ..... مش طبيعي أبدا .... سيب الفقرة لازم نسيطر على النزيف
هتفت الممرضة
:الضغط بينزل يا دكتور
:زودي أكياس الدم وهاتي فوط بسرعة
هتف بها خالد وهو ينظر للمريض الغائب أمامهم عن الوعي بحيرة
:في إيه مالك كل مرة بمشكلة
لتهتف الممرضة مرة أخرى
:الضغط ٦٠/٢٠
ليتبعها طارق
:نزف كتير لازم نوقف العملية
:الراجل ده حاجة من اتنين يا بيصارع عشان يعيش يا مش عايز يعيش أبدا .....ليخلع قفازاته وهو يأمرهم ..... وقفوا العملية
***
:مش مصدق إنك خلاص بقيتي ليا أنا استنيت اليوم ده كتير أوي
:وأنا كمان يا سامح فرحانة .... فرحانة أوي

:بحبك
:ستستحملني؟
:طبعا
:مش هتقسى عليا
:عمري
ابتسمت بخجل وقد أحمرت وجنتيها
ظلا الاثنان يتحدثان في العديد من الأمور
لم ينتبها للوقت إلا على صوت آذان الفجر
:يا خبر احنا سهرنا كل ده
:يلا نقوم ننام أنت كده هتتأخر على شغلك بكرة
:شغل إيه شكلها كده مفيش شغل بعد السهر ده
:هههههه..... طب يلا بينا تصبح على خير
:وأنتي من أهله
***
كانت تسير بطرقات المشفى تمر على مرضاها كعادتها صباحا مرت أمام مكتبه أخذها الفضول لتمر عليه
ولسوء حظه أنه نسي أن يغلق بابه وهو يتناول جرعة أخرى من تلك المادة المخدرة
لتدخل هي وتنصدم بما يفعل
أما هو كان البرود هو رد الفعل
:يا نهار أسود بتهبب إيه
:إيه يا عايدة فصلتيني
:فصلتك ..... أنت وصلت للجنان الأزلي هي حصلت وهنا كمان في المستشفى
:أه عادي
قالها ببرود استفزها لتصرخ بوجهه بغضب
:أنت بتضيع نفسك أنت عارف لو حد غيري كان شافك كان هيحصل إيه؟؟
:هيحصل إيه أكتر من اللي حصل
:راجع نفسك يا طارق مراتك وبنتك ممكن يرجعوا لكن مستقبلك لو راح مش هتعرف تعوضه
:يرجعوا .... هو أنا اصلا عارف هي فين
:بس عارف مشيت ليه
:وبطلت .... بطلت كل اللي كنت بعمله عشانها وفي الأخر برضه سابتني

تناولت هي زجاجة المخدر بيدها وهي تشير له بسخرية
:متأكد إنك بطلت كل حاجة
:متعمليش فيها قديسة بقى لو كنتي نسيتى أفكرك.... إيه نسيتى احنا كنا بنتاجر في الأعضاء سوا يا عايدة
:واهو ربنا عاقبني في أغلى حاجة عندي ..... بس للأسف فوقت متأخر ....
:الحق نفسك يا طارق لا تبقى زيي
قالتها وهي تتذكر حادثة ابنها لتدمع عينيها بندم
فعقاب الله لها كان أقوى بكثير من جريمتها الشنعاء
:ولو بطلت الزفت ده فكرك مراتي وبنتي هيرجعوا؟
:ولو فضلت تاخده هيرجعوا؟
:على الأقل بنسى أحسن ما اتجنن
:أنا قولت اللي عندي بس خلي بالك لو فضلت تاخد البتاع ده أنا أول واحدة هتقف ضدك .... أنا مش مستعدة أشيل ذنب تاني كفاية ذنب خالد
:خالد
:إيه نسيت ندى
:عاااايدة
:شكلك كده بقيت تنسى كتير الفترة دي مش مهم أفكرك هو مين اللي كان السبب في موتها
:مكنش قصدي
:لأنك مكنتش في وعيك
:كنت هنقذها
:تنقذ مريضه Hemophilia Cبحقنة وأرفارين
اقترب منها بغضب وهو يصرخ
:اخرسي اياكي أسمعك بتتكلمي في الموضوع ده تاني
:أنت حر بس أنا لسه عند كلمتي لو مبطلتش تاخد الأرف ده أنا هقول كل حاجة
خرجت هي بغضب سريعا لينهار هو على كرسيه بإرهاق
لتمر أمامه مشاهد ذلك اليوم
دخول ندى محمولة على الترولي
ليركض نحوها طارق وعايدة لتصرخ عايدة بذعر
:دي مدام ندى ... الحالة إيه؟
:وقعت من على السلم وفي نزيف حاد حامل في الشهر التالت تقريبا
:عمليات بسرعة ... وعايز أكياس دم O-

صرخ بها طارق
تقدموا جميعا نحو العمليات ليمر حوالي نصف ساعة سمعوا بعدها صراخ بالخارج
:ده دكتور خالد
:أكيد عرف إن مراته جوه
قالتها الممرضات ليصرخ بهم طارق بضيق
:كل واحدة تركز في شغلها مفهوم ..... أنا مش عارف النزيف مش راضي يقف ليه
:طارق أنا شاكة إن دي حالة هيموفيليا
:ربنا يستر وتعيش نزفت كتير لازم نسيطر عليه
لم يتوقف صراخ خالد بالخارج طوال العملية وكان يبدو أن أكرم يحاول السيطرة عليه بصعوبة
استمعوا بعدها لجهاز إنذار القلب ليركض طارق
: DC shock 150بسرعة .... 200Clear..... Clear
عاد القلب مرة أخرى ليزفر جميع من بالعمليات براحة
:لازم نوقف العملية الطفل مات وهي نزفت كتير
:النزيف لسه مستمر يا عايدة ..... بسرعة هاتوا أكياس دم تاني
قالها للممرضات ثم حقن ندى بمادة ما لتسأله عايدة باستفسار
:إيه دي
:حقنة وأرفارين
:إيه يا نهار أسود
:إيه
نظر لها طارق بتعجب
:أنت اتجننت تحقن مريضة هيموفيليا بوارفارين
:النزيف بيزيد يا دكتور
صرخت بها إحدى الممرضات بعد أن عادت بأكياس الدم
ثواني ليستمعوا لجهاز إنذار القلب
ركضت عايدة نحوها لتقوم بعمل الصدمات الكهربائية لكن دون جدوى
فالروح قد صعدت لخالقها لتهتف عايدة بذعر
: ساعة الوفاة ١١,٥٥
عاد طارق بذاكرته للوقت الحالي
وهو يتذكر حالة خالد عندما علم بموتها نتيجة النزيف الحاد ليترك المشفى من بعدها ويعيش مع ذكراها في حالة اكتئاب شديد

ولم يعرف أحد بحقنه لها بتلك المادة حتى الآن سوى عايدة
***
كانت تتلقى جلسة جديدة في علاجها
كانت عيناها تدور في كل مكان بالمشفى بحثا عنه لم تراه منذ البارحة
هل اشتقت له؟
لا لا ليس اشتياق ..... هو فقط ... تعود
نعم ...نعم .... تعود
أريد فقط أن أطمئن أنه بخير
نعم هذا كل ما في الأمر
:خالد
هتفت بها وهي تراه يدخل عليها
لكن لحظة
هل ما بعينيه تلك دموع؟
لماذا؟
هل علم شيئا خطيرا عن حالتي
:مالك يا خالد
:أبدا ولا حاجة
:التحاليل بتاعتي طلع فيها حاجة وحشة؟
لا رد
:خالد فيه إيه ..... أنا هموت؟
:لا لا لا مستحيل مش هسمحلك تضيعي مني تاني يا ندى
صرخ بها دون وعي لتنظر له بتعجب
:ندى!!!
ثواني نظر لها دون وعي
ليعود مرة أخرى ويدرك ما قاله
:أنا .... أنا أسف عن إذنك
نظرت له وهو يرحل بصدمة
لتقع عينيها على حقيبة الهدايا التي كان يحملها وهو يدخل
اقتربت لتفتحها لتبتسم بتلقائية عندما وجدت بداخلها علبة ألوان وأوراق رسم مع كارت صغير يحمل جملة أنستها كل ما قاله قبل قليل (إلى فيروزتي الزرقاء).
لتبتسم بحب وهي تتحسس تلك القلادة برقبتها والتي تحمل ذلك الحجر «الفيروز الأزرق» لتدخل عليها الممرضة تخبرها أن الجلسة قد انتهت

أعطنى الناي وغن فالغناء سر الخلود
وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود

***

«القمر السابع عشر»

:صباح الخير يا بابا
:صباح الخير يا عريس
:هي حورية لسه مصحيتش؟
:صحيت وبتحضر الفطار
:وماما فين؟
شرد بنظره دون رد ليتعجب سامح
:بابا ..... ماما فين؟
:أمك قاعدة فترة كده في بيت جدك

:بيت جدي!! ..... ليه؟
كانت حورية تستمع لحديثهما في الخفاء
تظن أنها السبب في غياب زوجة عمها عن بيتها
كادت تبكي لشعورها بالذنب
هل ستكون السبب في دمار هذا البيت؟
البيت الذي طالما احتواها
ظلت تستمع لحديثهما بحزن
:أنا زعلت أمك أوي يا سامح
:أنا مش فاهم حاجة .... بابا قولي بصراحة ... جوازي من حورية هو السبب؟
:لا يا ابني لا .... ده موضوع قديم ... قديم أوي كان لازم نتكلم فيه أنا وهي من زمان بس هي فضلت شايلة جواها وساكتة وأنا جيت عليها أوى تحب أروح أكلمها؟
:لا لا الموضوع ده لازم نحله أنا وهي سوا لوحدنا
:ممكن أروح أنا يا عمي
قالتها حورية وهي تقبل عليهما
نظر لها عمها بحب ليتجه وهو يقبل رأسها
لتردف هي
:أنا عارفة أنها مشيت بسببي وأنها زعلانة مني بس مش عارفة ليه
:يا بنتي أنتى ملكيش ذنب ... الذنب كله عندي أنا .... أنا اللي مكنتش واعي لتصرفاتي كنت بجرحها من غير ما أحس
:طب قولنا يا بابا إيه الموضوع يمكن نقدر نساعدك
:أنتوا مش بتسمعوا الكلام ليه قولت أنا اللي هحل الموضوع ..... وبعدين فين الفطار يا ست حورية بقالك ساعة في المطبخ بتقطعي سلطة .... يا عيني عليك يا ابني ربنا يستر على جيبك الفترة اللي جاية.
ابتسم الجميع ليتجهوا معا نحو طاولة الإفطار في جو يبدو عائلي وسعيد على عكس عيونهم التي كانت مليئة بالحزن
كان كل منهم يحاول رسم ابتسامة مزيفة على وجهه تحمل معنى لا تقلقوا كل شيء سيكون على ما يرام!!
***
كان يثور بمكتبه كالأسد الحبيس
نعم لقد استمع إلى حديثهما كاملا
لم يخطر بباله ولو للحظة أنه السبب بموتها

لم يتوقع أن تصل حقارتهما إلى هذا الحد
يا إلهي ماذا أفعل؟
التقط هاتفه سريعا ليحادث شخصا ما
:ألو
***
خرجت من المشفى بعد أن تعافت تماما
رجعت إلى مكانها المناسب ..... الشارع
كانت تسير بلا هدف حتى توقفت أمام أحد محلات الفضة
وقعت عيناها على شيء يلمع بشدة
توقفت أمامه وظلت تنظر له بشر!!
السكين ..... نعم هو الحل
لكن كيف تحصل عليه؟!
***
:عم حليم وحشني يا راجل يا طيب
:أخبار عيادتك إيه يا واد يا أكرم؟
:أهو هانت هفتحها قريب
:مالك شكلك فيك حاجة
:أبدا بس بفكر
:في إيه؟
:مواضيع كده داخلة في بعض متشغلش بالك ..... أنا عايز ألعب ولا خايف تخسر المرة دي بقى
:شكلك أنت اللي بتحب تخسر .....هو الواد خالد اتأخر ليه؟
:زمانه جاي العب العب
دقائق وأقبل عليهما خالد ليشاركهم اللعب
***
اشتاق كثيرا لوطنه
سوريا الحبيبة
اشتاق لشوارعها .... بيوتها
اشتاق لذلك المكان الذي رآها فيه أول مرة
هي من كانت تذكره بوطنه لم يشعر يوما معها بالغربة
تولين كانت الوطن ... البيت .... الأهل
فقد كل هذه عندما فارقته
ليتخذ قرار لا رجع فيه

***
:ممكن أعرف بترسمي إيه من الصبح؟
:مجرد أفكار يا ماما
:طب خليني أشوفها
:مش دلوقتي يا ماما
:ماشي يا ستي براحتك
:أومال عابد فين
:نزل يجيب لينا أكل بدل أكل المستشفى ده
:مين بيجيب في سيرتي
قالها عابد وهو يتجه إليهما وبيده بعض الأكياس
لتسأله ريما بلهفة
:عابد مشوفتش دكتور خالد وأنت جاي؟
:لا .... ليه أنتي تعبانة؟
:لا لا أبدا .... بسأل بس
جمعت أوراقها وأقلامها بملل لتضعهم جانبها بأحد الأدراج
وفي عقلها يدور سؤالا واحدا
أين أنت يا خالد؟؟
أيعقل أن يكون قد أصابه الملل مني؟؟
***
مر اليوم على شؤاطئ الإسكندرية
كان صوت آذان الفجر يصدح عاليا بشوارعها
تسير وهي تخبئ بين أزرع عباءتها ذلك السكين بعد أن سرقته بأعجوبة
وصلت تحت عمارته وهي تخطط لشيء ما
تأكدت أن لا أحد حولها بالمكان تسللت خفية إلى داخل العمارة صعدت
لأعلى حتى وصلت إلى السطح حيث يمكث من دمر حياتها ومستقبلها
اقتربت من باب الغرفة بخفوت
استطاعت أن تتسلل داخل الغرفة بحذر لتجده نائم بأريحية لا يحمل
بضميره ذرة من الندم أو الشعور بالذنب
لتخرج ذلك السكين من بين ذراعيها وترفعه لأعلى فيلمع نصله أمامها
لتهبط بكل قوتها وتغرز السكين ناحية قلبه عدة مرات لتتأكد أن روحه قد
صعدت لتنال جزائها على جرائمه التي لا تعد
لم يتخذ الأمر عده ثواني كان عقلها غائبا عن الوعي لم ترى أمامها سوى
الإنتقام

أفاقت منه على يدها الملطخة بالدماء والسكين يستقر بقلبه ووجهها يملأه قطرات الدم
لتجلس أرضا وهي تضحك وتبكي بحرقة في آن واحد
***
كانت تستعد للذهاب إلى المشفى
اطمئنت على والدتها أولا ثم تركت دوائها بجانبها
لتستمع إلى طرقات خفيفة على الباب
تعجبت لثواني
من سيأتي إليهما بهذا الوقت؟!
اقتربت عايدة لتفتحه حتى رأت آخر شخص تتوقع وجوده هنا
وضعت أمامه فنجان القهوة وهي ترحب به
ترحيب لم يخلو من التعجب
:نورت يا دكتور أكرم
:متشكر يا دكتورة ..... الوالدة أخبارها إيه دلوقتي؟
:أحسن بكتير من الأول الحمدلله
:ربنا يخليهالك ..... ساد الصمت ثواني ليقطعها وهو ينظر أمامه .....
كان زي القمر
قالها وهو ينظر لصورة طفلها المعلقة أمامهما على الحائط
:خير يا دكتور ممكن أعرف سبب زيارتك
قالتها وهي تحاول أن تجمع شتات نفسها
فهي علي علم تام بأن أكرم بارع في اللعب بأعصاب من أمامه
وزيارته تلك بالتأكيد ورائها سبب عظيم
لكنه حقا سيكون أحمق إذا استهان بذكائها
:بصي يا دكتورة عايدة أنا مش بحب ألف وأدور أنا جاي وعايزك في شغل
:عايزني معاك في العيادة يعني؟
:عايزك تعملي معايا بعض العمليات
:لا مش فاهمة ..... وضح أكتر من فضلك
:كام عملية هنعملها سوا هتاخدي قصادها المبلغ المناسب
نظرت له بشك
:وضح كلامك يا دكتور أنت لسه قايل مش بتحب اللف والدوران
:ماشي يا عايدة ..... بصراحة كده وبوضوح هنتاجر في الأعضاء
اتسعت أعينها بفزع!!
ماذا؟؟!

:ومن غير كلمة زيادة يا أكرم اتفضل اطلع برا
قالتها وهي تنهض من مجلسها وتشير إلى الباب إشارة منها على أن الزيارة قد انتهت
ليقف ومازال يحتفظ بنفس بروده و يدس يده في جيب بنطاله وينظر إليها من أعلى إلى أسفل
:غريبة مع إنك عملتيها قبل كده
:أفندم!!
:خلينا نلعب على المكشوف صدقيني هتوفري علينا وقت كتير.... أنا عارف كويس بكل مصايبك أنتي وطارق اللي كانت من تحت لتحت
:أنا مش فاهمة أنت بتتكلم عن إيه؟!
:وماله أفهمك
اقترب منها ليجذبها من يدها بشدة ويضغط عليها لتئن هي بألم
ليضغط هو على أسنانه وهو يقترب من أذنها ليهمس بخفوت
:كل عمليات تجارة الأعضاء اللي عملتيها وكل واحد محتاج استغليتي حاجته وأخدتي منه أعضائه مقابل ملاليم أنا عارفه كويس وممكن في ثانية أوديكي في داهية أنتي والبيه اللي كان معاكي
:مش هتقدر تثبت ده
:وتفتكري أكرم هيكشف ورقه قدامك وهو مش معاه اللي يثبت ده
قالها وهو يتركها ليتجه ليحمل صورة ابنها من على الحائط ليقترب منها تحت نظراتها الفزعة ليردف عاليا
:شايفة الصورة دي .... فاكرة اليوم ده .... فاكرة وقتها كنتي بتعملي إيه ؟ فاكرة ولا أفكرك؟
:بس يا أكرم
:فاكرة كنتي في العمليات بتعملي إيه؟
:قولتلك بس
يا إلهي
كفى عذاب إلى هذا الحد
تعلم جيدا أن موت ابنها عقاب من الله على ما جنت يديها
:إيه خوفتي من الحقيقة؟؟
:أنت عايز مني أيه؟
:عايز أعرف الحقيقة كلها
:حقيقة إيه؟
:يوم موتة ندى كنتي مع طارق في العمليات .... إيه اللي حصل؟

يبدو أن أكرم يعرف الكثير.... أكثر مما توقعت
وقد حان الوقت لنزع الستار من على الكثير من الحقائق
:إيه.... هيكون حصل إيه يعني
:قولتلك أول ما دخلت إني مش بحب اللف والدوران
:محصلش حاجة هيكون حصل إيه
:شكلك من الناس اللي بيحبوا الشوشرة والفضائح صح
:لو فاكر إنك كده بتهددني تبقى غلطان أنا خلاص مبقاش عندي حاجة أخسرها
:عندك أمك اللي هتتصدم لما تعرف حقيقة بنتها
:أنت بتهددني؟؟
:أنا بحذرك باللي هيحصل لو ما نفذتيش اللي هقولك عليه
:موافقة من غير ما أعرفه
:يبقى ريحي نفسك واحكي
ظلت تنظر لصورة ابنها التي مازال يحملها حتى تلألأت الدموع بعينيها, وهي تحكي بمرارة كل ما تعرفه عن تعاطي طارق للمخدرات منذ أن تركته زوجته .....يوم أن أعطى مادة خطأ لندى أثناء العملية ليداري عليها بتقرير طبي يوضح موتها نتيجة نزيف حاد لم يستطيعوا السيطرة عليه ....تجارتهم معا للأعضاء دون علم أحد داخل المشفى.
:ده أنتم طلعتوا عصابة وأنا هوديكم في ستين داهية
:عايزني أعمل إيه يا أكرم؟
:شاطرة .... اسمعي بقى..
***
يوم آخر يمر عليها تستعد فيه للبحث عن ابنتها اتجهت نحو الباب لتفتحه لتشهق بذعر عندما وجدت ابنتها ساقطة أرضا خلف الباب بيدها سكين لا تعلم من أين جاءت به وجهها الشاحب وملابسها المهترئة
يا إلهي
ماذا فعلتي بنفسك؟
كريمة ... كريمة ردي عليا ... إيه الدم ده ..... ردي عليا يا بنتي متوجعيش قلبي أكتر ما هو موجوع .... كريمة .... كريمة
كانت كريمة في حال لا يرثى لها
بعالم آخر تحاسب به نفسها على خطيئتها
ركضت والدتها سريعا نحو عيادة ذلك الطبيب
لعله يساعدها الآن في وضع ابنتها

ركضت وبعقلها إجابة واحدة على مظهر ابنتها و تدعو الله أن تكون خاطئة بها
***
كانت عيناها تشرد ناحية الباب كل ثانيتين تنتظر أن يمر عليها في أي لحظة كانت تريد أن ترد له الهدية بهدية أخرى من صنع يدها
ولم يخيب ظنها
ثواني ورأته يدخل عليها يبدو على وجهه الإرهاق
هتفت باسمه بلهفة لم تخفي عليه
:خالد
:عامله إيه يا ريما؟
:بخير الحمد لله ..... مالك شكلك تعبان؟
:شوية إرهاق بس من الشغل .... متشغليش بالك
:ربنا يقويك .... شكرا على الهدية
:هدية!!
:الهدية اللي جبتهالي نسيت
:أه ... أه ...عجبتك
:حلوة أوي ميرسي .... بالمناسبة استني
مدت يدها لتلتقط شيئا بجانبها
ليجدها لوحة صغيرة مرسومة بالرصاص يبدو أنها من صنع يدها
وما كانت تلك اللوحة غير صورة له وهو يبتسم
نظر للوحة بسعادة
أكثر ما جذب نظره هي تلك اللمعة الغريبة التي رسمتها بعينيه ببراعة لمعة تركت عيناه منذ أن غابت ندى عن حياته
:عجبتك؟
:جدا
:دي هدية مني ليك
:بترديها ليا يعني
:حاجة زي كده
:ماشي يا ستي هدية مقبولة
:أنت كويس؟
:أيوه ليه؟
:شكلك بيقول غير كده
:تقدري تقولي الفترة دي بحاول أبقى خالد جديد

وخالد القديم كان ماله:
كان مستسلم لحاجات كتير:
نظرت له تحاول أن تفهم معنى حديثه لكنه أردف
أنا هروح أمر على المرضى:
كاد أن يرحل لولا أنها جذبت يده وهي تسأل بشيء من التوسل
هتيجى تاني؟:
نظر لها بتشتت فلم يعد يفهم نفسه ولا مشاعره
لكنه ودون إرادة منه وجد نفسه يخبرها
عمري ما هسيبك:

أمس انتهينا فلا كنا ولا كان
يا صاحب الوعد خلي الوعد نسيانا
طاف النعاس على ماضيك وارتحلت
حدائق العمر بكياً فاهدأ الآن

***

«القمر الثامن عشر»

رحلت وأخيرا تخلص من تلك الورطة التي جلبها إلى حياته
طلق تلك الفتاة التي يقسم بداخله أنه نسي حتى اسمها
أخرجها من حياته بعد أن أدخلها في لحظة يمكن أن يسميها ...ضياع
...حماقة .... لا يهم المسمى
المهم الآن هي أنه يحاول أن يلملم شتات نفسه للبدء من جديد
فقد أنهى أيضا كل ما يخصه في تلك البلد
من أعمال وأملاك ..... وذكريات مشؤومة
لقد تركت جرحا لن يندمل أبدا...
***
مر أسبوعين كان بهم الحال على ما هو عليه
كانت أم كريمة تحاول أن تعرف ما حدث مع ابنتها
ولمن كانت تلك الدماء؟؟
لكن الإجابة دائما كانت .....لا رد
الإجابة الوحيدة كانت برأسها تخشى أن تصدقها
لكن أكثر ما كانت تخشاه أن بطنها ستبدأ في الظهور قريبا
ولن تتحمل نظرات وأسئلة كل من حولها
لتقرر الرحيل من هذا الحي نهائيا
لو كانت تستطيع لقتلت ذلك الطفل
لكنها تخشى عقوبة الله .... يكفيها ما حدث حتى الآن
***
كان قد اتخذ عهدا بينه وبين نفسه أن يتوقف عن تناول تلك الجرعات لكن يبدو أن أعراض الإنسحاب بدأت في الظهور سريعا فقد كان يجلس بتعب وتحت عيناه أصبح مظلما كقلبه تماما...
أنفه تسرب بشكل كبير ... يشعر بتنميل شديد بكل أنحاء جسده
دخل عليه خالد وهو ينهج بسرعة و يظهر الذعر على ملامحه
: طاارق
:في إيه يا خالد؟

نكس خالد رأسه أرضا بحزن وتلألأت الدموع بعينيه وهو يخبره
:أنا أسف يا طارق سامحني
نظر له طارق بتعجب
خالد يطلب منه السماح ..... على ماذا؟!
:حصل إيه يا خالد؟
:مقدرتش أنقذها ..... عملت كل حاجة بس .... مقدرتش أنقذها ..... كانت بتنزف جامد مقدرتش أسيطر على النزيف
شحبت ملامح طارق بريبة
عمن يتحدث خالد؟
أي هراء هذا الذي يهذي به؟
:هي مين؟
:بنتك؟
تراجع طارق للخلف شعر بدوار رهيب احتل رأسه
:أنت بتقول إيه؟
:مراتك جت المستشفى في حادثة من ساعة .... وللأسف ملحقتش أنقذ البنت
اتسعت عين طارق بذعر لتشتغل بها براكين الغضب وهو يهتف بعدم استيعاب
:بنتي .... بنتي أنا
:اهدى يا طارق أنا عارف إن الصدمة صعبة عليك بس ادعلها بالرحمة هي دلوقتي في مكان أحسن
هجم عليه طارق بضعف ليقبض على تلابيب ملابسه وهو يصرخ بحدة
:أنت بتقول إيه .... أقسم بالله أنا لو اكتشفت إن بنتي حصلها حاجة لأوديكم كلكم في داهية هطربق المستشفى كلها على دماغكم
كان خالد يجيد اللعب بمهارة على ذلك الوتر الحساس بالنسبة له
فطارق كان ومازال العاشق المتيم بزوجته والأب المثالي لابنته
على الرغم من سواد قلبه
ظل طارق يصرخ بفزع
أيعقل أن يعيد الزمن نفسه مرة أخرى!!
هل حان وقت الحساب .... في أي عزيز سيعاقب على أفعاله
كان يدعو الله أن ينال هو العقاب وليس ابنته
فلا ذنب لها بماضيه الأسود هذا
:لا لا لا .... أكيد لا .... مش ممكن يكون العقاب كده لا .... لا يارب لا أنا المذنب مش هي عاقبني أنا وسبيبها

:اهدى يا طارق اهدى مش كده أنا عارف إن الصدمة شديدة عليك أنا مريت بيها وعارف
:أنت السبب .... بتردلي اللي عملته زمان في مراتك
جيد..... هذا ما يريد الوصول إليه
فعند تلقي الصدمات يغيب العقل ويفصح اللسان دون قيود
:إيه اللي عملته في مراتي يا طارق؟
كانت أعراض الإنسحاب بدأت تشتد عليه مع صدمته برحيل ابنته جعلته بحالة هذيان شديدة ليصرخ بغضب وكره لكل شيء حوله
:أيوه أنا اللي قتلت ندى ..... أنا كنت السبب أن النزيف يزيد بسبب حقنة غلط .... أنا اللي موتها يا خالد زي ما هموتك أنت كمان دلوقتي
***
كانت تشتد حالة الطوارئ على أبواب المشفى بالخارج الأمن يحاول السيطرة على حالة الهرج التي سادت بالمكان ولكن دون فائدة
:إيه اللي حصل؟؟
قالها أحد الأطباء ليجيبه موظف الاستقبال
:عيلتين عليهم طار ضربوا نار على بعض والمصابين كتير
ركض جميع من بالمشفى للعمل
الأطباء تستقبل الحالات
الممرضات تجهز غرف العمليات
حتى أن المصاعد تم تجهيزها كغرفة طوارئ لاستقبال الحالات
***
:كده كله تمام تقدر تفتح العيادة وقت ما تحب
:شكرا يا منير لولاك مكنتش هقدر أفتح العيادة بسرعة كده
:متقولش كده يا أكرم احنا أخوات ... وإن شاء الله العيادة تكون فتحة خير عليك
:يارب
رحل منير ليتأمل أكرم شكل العيادة بعد أن أصبحت جاهزة لاستقبال المرضى
اقترب أكرم من إحدى النوافذ الصغيرة وهو ينظر للسماء "يا ترى عملت إيه يا خالد"
***
:حقيقي يا طارق أنت كل مادا ما بتقل في نظري أكتر ..... بس أنا مش هسكت إلا أما أبلغ عنك واخد حق مراتي منك

اتجه خالد للخارج عاقد العزم على أن يبلغ الشرطة عنه ويثأر لزوجته ومعه الدليل
ذلك المسجل صغير المعلق بجيب البالطو الطبي الخاص به
لكن صوت تلك الرصاصة التي اخترقت جسد أحدهم شلت حركتهم جميعا
***
كانت تركض داخل المشفى بخوف تبحث عن أي أحد يطمئنها على حالته
رأت أخيرا ابنها يقف منزوي بأحد الأركان وبجانبه حورية يبدو عليهم الحزن
:ماله منصور يا سامح ..... أبوك حصله إيه .... حد يرد عليا
:بابا تعبان أوي يا ماما .... حورية دخلت عليه الأوضة الصبح لقته واقع على الأرض
لم تستطع قدمها الصمود أكثر من ذلك لتجلس على أقرب مقعد أمامها
اقتربت منها حورية تربت على كتفها
:متقلقيش يا طنط عمي هيبقى بخير .... شوية تعب وهيروحوا
كانت عين عالية قد أغشاها الدمع لتردف حورية
:ارجعي يا طنط ده بيتك اوعي تسيبيه مهما حصل
خرج الطبيب أخيرا وهو يعدل وضع نظارته ويتساءل
هو آخر مرة أخد أدويته امتى؟
نظر الجميع لبعضهم دون رد ليردف هو
: ده واضح أنه ما أخدهاش بقاله كتير ..... طيب على العموم هو اللي حصل ده بسبب السكر واضح إن السكر بتاعه مش منتظم بقالة فترة وكمان ما أخدش الأدوية ياريت نخلي بالنا الفترة اللي جاية أنا كتبتله على أدوية تانية ونظام أكل معين ياريت نمشي عليه وأشوفه بعد أسبوعين عن إذنكم
انصرف الطبيب لتنظر عالية لابنها بعتاب
:أبوك آخر مرة أخد الدوا كان امتى يا سامح ..... لا رد ..... عمك آخر مرة أخد دواه كان امتى يا حورية ..... لا رد
اخس عليكم .... بقى أغيب فترة أرجع ألاقي الدنيا كلها بايظة
:ماما من فضلك أنتي بتحاسبينا على حاجة أنتي السبب فيها
:سامح
صرخت بها حورية بحذر مما يتفوه
أما عالية كانت ناظرة له بصدمة
:أيوه يا ماما .... أنتي مشيتي فجأة وسبتي كل حاجة وراكي..... أنتي اللي كنتي بتدي بابا الدوا أنتى اللي عارفة مواعيده ... أنتى اللي عارفة بيحب إيه

بيكره إيه لكن أنتى مشيتي وسبتي كل ده وراكي مفكرتيش حتى تسألي
هنعمل إيه ..... متزعليش مني يا ماما لكن دي الحقيقة
نظرت له بصدمة كأنه قد عرى روحها أمامها
هي من كانت تهتم .... هي من كانت تعطي دون مقابل
هل أخطأت عندما قررت أن أرحل لأختلي بروحي
لأحاول أن أجمع شتات نفسي المحطمة
نعم لم أفكر بهم ....هل حقا كنت أنانية حين ذلك؟؟
لا لقد رحلت لأني لا أشعر بوجودي بينهم أنا دائما مهمشة بحياتهم والآن .....
ماذا هل شعرتي بقيمتك؟؟
مجرد رحيلك كاد أن يدمر الجميع
ألقت عليهم نظرة أخيرة لتتركهما وتتجه للداخل حيث يتمدد زوجها على الفراش بتعب
كاد سامح أن يتبعها لكن يد حورية سبقته لتمنعه
لتخبره بعينيها أن يدعهما ينفردوا بحديثهما قليلا
:منصور
قالتها عالية بصوت مبحوح من الألم
:عالية وحشتيني
:إيه اللي حصلك؟
:أعمل إيه بقى مهي الدكتورة اللي بتاخد بالها مني خليت بيا وسابتني
:أنا عمري ما سبتك أبدا
:كذابة سيباني بقالك ١٨ يوم وساعتين وعشر ثواني
:هههههه ... أنت عددهم
:طبعا لأنك عمرك ما بعدتي عني بالشكل ده
:بعدت لما حسيت إني ماليش لازمة في حياتك
ليهتف هو بخفوت
:أنتي كل حياتي يا عالية أنا من غيرك كنت عامل زي العيل الصغير.....عالية
:نعم
:لسه عايزة تطلقي
نظرت له بحزن حيث كان قلبها يصرخ بلا وجسدها يتجه نحوه ويحتضنه
احتضنها بقوة رغم إرهاق جسده ليقبل رأسها بحب
لم يحتاج لسماع الإجابة فجسدها هتف بأصدق إجابة يعرفها

:وحشتيني
:وأنت كمان
:عارفة لو قولتي كلمة طلاق دي تاني هعمل فيكي إيه
:هههههه..... إيه
:هقولك لما نرجع البيت سوا في أوضتنا
قالها وهو يغمز لها لتضحك مرة أخرى بخجل وهي بين أحضانه
:خيانةاااااا
صرخ بها سامح وهو يردف
:أمي وأبويا في أوضة واحدة وعلى سرير المستشفى .... مش قادر أبص...مش قادر أبص
قالها بطريقة مسرحية ليضحك الجميع لتقترب حورية من زوجة عمها لتحتضن كلا منهما الأخرى بحب
:هتنورى بيتك من تاني يا ماما
:أيوه بقى .....يلا يا بابا قوم كده وبطل دلع خلينا نحدد ميعاد الفرح عايز أتجوز يا نااااس
***
:ترولي بسرعة
صرخ بها خالد وهو ينظر لجسد طارق الملقى أمامه أرضا بعد أن اخترقت تلك الرصاصة ظهره ليسقط بعدها فاقدا للوعي
كان الهرج والصراخ هو السائد الآن
بعد أن تقاتل رجلين بالرصاص داخل المشفى بسبب التار
حاول الأمن والعديد من الأطباء السيطرة على الوضع
حمل خالد جسد طارق سريعا إلى احدى غرف الكشف والتي كان بداخلها بالفعل مريض آخر ليصيح الطبيب
:مينفعش كده يا دكتور خالد أنا معايا مريض
:أنتي مش شايفة بينزف إزاى لازم نلحقه
صرخ بها خالد ثم هتف خالد بأحد الممرضات
:نادي حد معايا بسرعة
:كلهم في العمليات يا دكتور
:أنا معاك يا خالد
هتف بها مدير المشفى
اختلس خالد له نظرة أخيرة وهو يهتف
:نيموه على جنبه وعبولي كيسين دم بسرعة

:مش هنقدر نوقف النزيف يا خالد الرصاصة واضح إنها وصلت للرئة
أنا خايف تكون أثرت على العمود الفقري لازم نوديه الأشعة بسرعة ....
وجهزوا العمليات
مر الوقت وكان الجميع يعمل بحذر شديد
:النبض والضغط
قالها خالد لتجيبه إحدى الممرضات
:١١٥/٦٥ والنبض ٧١
استمروا في محاولة إخراج الرصاصة دون خسائر بالحبل الشوكي
لتهتف إحدى الممرضات بحذر
:الضغط بينزل والنبض كمان ضعيف خالص .....معدل التنفس بيقل
وكمان نسبة الأكسجين في الدم
:زودي الأكسجين مية في المية وعايز حقنة أتروفين بسرعة
قالها المدير بحذر ليصدر جهاز القلب إنذار قوي دليل على توقفه
ليصرخ خالد
DC shock….250 clear:
300 clear:
350 clear:
350: clear تاني
ليعود القلب أخيرا بعد صراع طويل ليلتقط الجميع أنفاسهم أخيرا
عاد الجميع للعمل مرة أخرى بحذر لتنتهي العملية بعد عناء شديد
ليختلس خالد نظرة أخيرة لجسد طارق الغائب أمامه ليحدث نفسه
" كنت أود لو أن أخذ بثأري منك الآن لكن عقاب الله لك عندما تستيقظ
وتعلم ما حدث سيكن أقوى بكثير"
***
كانت تنظر لحال ابنتها بحزن لقد بدأت بطنها تبرز قليلا
لكن جسدها أصبح هزيل اضربت عن الطعام كأنها بذلك تكفرعن ذنبها
حاولت والدتها أن تفهم سبب حالتها
على الرغم من وضوح الأمر أمامها
:لو تقوليلي بس يا بنتي إيه اللي حصل
:أخدت حقي يا أما انتقمت منه
:ربنا هو المنتقم الجبار يا بنتي
:ريحت الناس من شره
:عملتي إيه!!؟

:أخد جزاه اللي يستحقه وأنا كمان هاخد جزائي قريب
:ربنا سترك من اللي جاي
***
:بتقول إيه يا خالد؟
:والله يا أكرم زي ما بقولك الرصاصة سببت شرخ في فقرة في العمود الفقري وضربت منطقة حساسة في النخاع الشوكي
:يعني طارق ....
:مش هيقدر يمشي تاني
:لا حول ولا قوة إلا بالله..... وأنت هتعمل إيه هتبلغ عنه
:هو أخد جزاؤه خلاص في الدنيا .... وأنا خلاص رضيت بقدري
:قصدك إيه؟؟
:أنا هتقدم لريما
:وندى؟!
:ندى معاها أجمل أيام عمري اللي راحت وريما معاها العمر اللي جاي
:حمدالله على سلامتك يا خالد ..أخيرا
:شكرا يا أكرم
:على إيه؟
:أنت اللي سمعت كلام طارق مع عايدة في المكتب وروحت لعايدة البيت وعرفت الحكاية كلها يعني لولاك مكنتش هعرف الحقيقة
:بس أنت اللي كملت الحكاية ومسكت عليه دليل كمان لما عملت حركة موتة بنته دي
:أنت عارف يا أكرم صحيح أنا مش طايق أبص حتى في وش طارق لكن الرعب والخوف اللي شوفتهم في عيونه وأنا بقوله بنتك ماتت خليتني أحس بالذنب من نفسي أوي
:اللي زي دول حلال فيهم أي حاجة تحصل ليهم
:أنا بقول كده عشان مريت بنفس الموقف..... يوم موت ندى حسيت بنفس الشعور اللي حس بيه طارق
:أهو أخد جزاؤه
:لسه عايدة
:لا دي خلاص زمانها قدمت استقالتها من المستشفى ومش هتشوف وشها تاني
:أهو ارتحنا خلاص من شرهم
:الحمد لله .....مستني إيه الحق ريما

:رايح أهو ..... وعقبالك يا بيه أما تلاقي واحدة تستحمل دماغك أو تكسرهالك ونستريح
:توشكر يا ذوق
***
كانت قد انتهت من جلسة علاج أخرى
أخبرها الطبيب أنها أوشكت على الانتهاء من الجلسات وتبقى لها القليل
كانت سعيدة بحق وازدادت سعادتها عندما دخل عليها بوجه مشرق
:خالد أنت كويس؟؟
:أيوه ليه بتسألي؟؟
:ده كان فيه صوت رصاص بره وعرفت إن فيه ناس اتصابت ...إزاى ده حصل
:متقلقيش خلاص الموضوع اتحل ..... صحيح مبروك خلاص قربتي تخلصي
:الدكتور قالك؟
:أيوه
:أنا مبسوطة أوي أخيرا هرجع لحياتي الطبيعية
:الحمد لله .... وارجع أنا أصحى بدري على صوت فيروز وريحة القهوة
ابتسمت لينظر لها بحب
وأخيرا يمكنه أن يعترف أنه أصبح يعشق جارة القمر
ريما ..... ريما جارة القمر
عاشقة القهوة ..... صاحبة حجر الفيروز الأزرق
معها استيقظ قلب خالد العاشق من جديد
:ريما أنا بحبك
نظرت له ريما بدهشه ممزوجة بالخجل
ليردف هو
:ريما أنا كنت شخص ميت ..... شخص الظروف خلته يعيش بذنب هو معملهوش عشان تيجى أنتي تغيري نظرته لكل حاجة حواليه.....
تتجوزيني يا ريما؟؟
:خالد أنت عارف أنت بتقول إيه؟
:عارف وواعي وفي كامل قواي العقلية
:خالد أنا مش هخلف
:أنا مش عايز غيرك

:مش هتقدر تستحمل هنشوف ولاد أصحابك وقرايبك هيبقى نفسك يكون
ليك ابن يشيل اسمك زيهم
:ريما أنا ميهمنيش كل ده
:لازم يهمك ..... دي حياة هنعيشها سوا
:أنا هديكي فرصة تفكري مش عايز ردك دلوقتي
:أرجوك يا خالد
:أرجوكي أنتي فكري الأول ..... أنا هسيبك دلوقتي وهجيلك تاني
تركها في صراعها الداخلي ورحل ليقع نظرها على تلك المحفظة
يبدو أنها سقطت منه دون وعي
التقطتها ليلفت نظرها تلك الصورة الصغيرة
ما هذا إنها أنا ..... لحظة ..... لا ليست أنا بل ... إنها تشبهني.....تشبهني
كثيرا
من تلك ؟؟!
***
بعد مرور حوالي ثمانية وأربعون ساعة
كان طارق بهم مازال لم يتعدى مرحلة الخطر
:اهدي يا طارق اهدي
:اوعى يا عايدة سيبيني .... مش أنا اللي أقعد على كرسي متحرك اوعى من
وشي
كان يصرخ بهستيريا غير مصدق أنه أصبح عاجز عن السير
استمع خالد لصراخه ليدخل إليه سريعا بغرفة العناية
:طارق مينفعش كده أنت بتئذي نفسك أنت لسه خارج من عملية ووضعك
لسه خطر
:مش أنا يا خالد .... مش أنا اللي أقعد على كرسي متحرك زي العواجيز
..... لا أنا لسه بصحتي
:أفتكر إن ده عقاب من ربنا على أفعالك يا طارق
كان يقاوم طارق بكل ما يمتلك الآن من قدرة أن يحبس دموعه
فهو لم ولن يضعف أبدا
لكن ولسخرية القدر خانته دموعه لتسير على وجنتيه بحرية
وينهزم هذا الأسد الشامخ
نظر له خالد بأسف على حاله ثم هتف بإحدى الممرضات أن تعطيه إبرة
مهدئة بالحال
ليختلس نظرة أخيرة نحوه ثم تركه

يرى الآن حق ندى قد عاد
حتى لو لم تراه بعينيها لكنه على يقين أن روحها حوله الآن
***
يا إلهي البرد يبدو قارس اليوم
استيقظ خالد على الرغم من برودة الجو إلا أنه يشعر بنشاط غريب
اتجه لصنع فنجان القهوة المانو رفيقته بالأيام الأخيرة
لقد أصبح لديه الكثير من الرفاق منذ أن تعرف عليها
:أيوه يا أكرم ..... أنت في العيادة ..... طب أنا هيجيلك قبل ما أعدي على المستشفى ..... سلام
أغلق معه الخط ليتذكر أنه لم يصبح على جارته الجديدة كعادته اتجه إلى حاسوبه الشخصي ليضغط على بعض الكلمات ويرفع الصوت عاليا فيملأ صوتها الملائكي المكان..

نسم علينا الهوى من مفرق الوادي
يا هوى دخل الهوى خذني على بلادي
***

«القمر التاسع عشر»

يجلس بغرفة الكشف داخل عيادته الجديدة التي افتتحها مما يقرب إلى أسبوع واحد فقط
رغم تلك المدة البسيطة إلا أنه يشعر أن قرار استقالته من المشفى كان أكثر القرارات صوابا في حياته
:دخل يا حسن الحالة اللي بعدها
:حاضر يا دكتور

لتدخل عليه فتاة سمراء بشعر أسود قصير وشفتين كحبات التوت وعينين واسعتان وأنف صغير
كان جمالها مميز بحق
نظرة واحدة منه إليها كانت كفيلة بأن تحدث اضطراب شديد بقلبه
صوت إنذارات العقل يصدح عاليا برأسه قبل أن يتهور القلب
احترس يا أكرم ... لا مزيد من الحماقات مرة أخرى
تعقل لا تقع بنفس الخطأ مرتين
ليهتف بطريقة عملية حادة
:اتفضلي ... بتشكي من إيه؟
***
أخذت تبكي على حال ابنتها
بعد أن أخبرها الطبيب بخطورة حالتها وإن عملية الولادة لن تكن هينة أبدا
الغريب أن ابنتها بعد أن سمعت بحالتها تلك ابتسمت ولم تكترث لأي شيء
لقد أصبحت زاهدة بالحياة بشكل مخيف
رفعت أم كريمة يدها بضعف إلى الله وهي تبكي تدعوه أن يسامحها ويغفر لها ذنبها
***
منذ أن رأت تلك الصورة وبعقلها تدور آلاف الأسئلة
كاد الفضول أن يقتلها تود لو أن تعرف من تكون
وكيف للشبه بينهم أن يكون مخيف لتلك الدرجة
:وأنتي يهمك في إيه تعرفي مش قولتي إنك هترفضي طلبه
قالها عابد لتنظر له بحيرة ليردف
:أنتي بتحبيه ولا لا؟
ذلك السؤال نفسه الذي تسأله لنفسها كل دقيقة ... لا بل كل ثانية تقريبا ولا تجد له إجابة
ما هي حقيقة مشاعرها نحوه؟
أهي احتياج .... تعود ..... حنين .... أم حب!!!
أم يا ترى كل هؤلاء؟!
:صدقني يا عابد مش عارفة .... أنا بسأل نفسي السؤال ده كل يوم ومش بلاقي إجابة
:يبقى جربي تبعدي
:أبعد؟؟
:أيوه البعد هيفهمك حقيقة مشاعرك

:ولو مقدرتش؟
:يبقى حب
نظرت لأخيها بتعجب
من الذي يتحدث أمامها..... أهو حقا عابد؟
من أين جاء بتلك الحكمة؟!
:مين اللي بيتكلم أنت عابد أخويا بجد؟!
:ماأنا حبيت قبلك ومجرب الحب وعمايله
:قدرت تنساها يا عابد
:ابقى كداب لو قولتلك أه .... طيفها عمره ما سابني يا ريما ..... بس مفيش في أيدي حاجة غير إني أتقبل إنها مش ليا ....ويمكن ده الأحسن لينا احنا الاتنين
:إن شاء الله ربنا يبعتلك اللي تستاهل قلبك
:توشكر يا أخ
:أخ مين ياض أنت هو عشان بقيت قرعة يعني هتتريق عليا بكرة شعري يطلع تاني عادي
قالتها وهي تعدل من وضع تلك القبعة الصوف التي أصبحت لا تستغنى عنها مؤخرا
:هههههه ... يطلع إيه أنتي بقيتي شبه سُمعة صاحبي
:امشي من هنا ياض أنت
:هو سُمعة وحش ده عليه ساندوتشات كبدة كلابي تجنن
:بقى يا ربي ده واحد لسه راجع من كندا
:هههههه .... ماأنا شربت من النيل أول ما نزلت المطار
:هههههههههه .....ده أنت لسه مجربتش كشري عم سعيد أما نخرج من هنا هوديك عنده
:وأنا اللي هدفع
:اتفقنا
قضى الاثنان وقتهما في تلك المشاكسة حتى شعرت ريما بالإرهاق فغلبها النعاس
***
:أنت اتجننت يا خالد ... أنت بتقول إيه؟؟
:إيه الجنان في كده ما أنت عملتها قبلي
:بس أنت جراح كبير وليك اسمك تقدم استقالتك يعني إيه؟
:قول إنك مش عايزني أشاركك العيادة

:خالد متستهبلش أنت عارف كويس إني مرحب جدا بالموضوع .... لكن شغلك في المستشفى هيضيف ليك كتير
:وأنا خلاص تعبت صدقني كده أحسن
:يعني أنت خلاص أخدت القرار
:وفاضل التنفيذ
:لكن أنا مش معاك في الخطوة دي
:ادعيلي أنت بس
:فكر كويس يا خالد ..... متتسرعش
:حاضر يا أكرم
قالها خالد ثم ودعه ورحل ليجد أكرم نفسه يفكر في تلك السمراء التي جعلت قلبه الخائن يخفق مرة أخرى
نفض تلك الأفكار سريعا من رأسه بضيق ثم اتجه ليكمل عمله
***
طرقات خفيفة على الباب لتجده يدخل بعدها بوجه مشرق ومبتسم جعلها تنسى ألمها وتبتسم تلقائيا
:عاملة إيه النهاردة؟
:بخير خلاص هانت
:إن شاء الله تخلصي على خير ..... ها فكرتي
:قبل ما أجاوبك بس كنت عايزة أديك دي
مدت يدها إليه بمحفظته ليلتقطها بلهفة
:يااه هي كانت معاكي ده أنا قلبت عليها الدنيا
:وأنا بمسكها بالصدفة وقع منها دي
مدت يدها له بصورة ندى
ليزدرد ريقه بتوتر لتردف
:صورة مين دي؟
:دي .... دي ندى
:ندي ؟!
:مراتي
:إيه!!
:الله يرحمها
:ماتت
:من ٦شهور
نظرت له بحيرة

:وأنت حبيتني عشان شبهها
:حبيتك عشان ريما
:ولو أنا مكنتش شبها كنت برضه هتحبني
أجابها سريعا وبدون تفكير
:أيوه
:طب فكر قبل ما تجاوب
:عشان دي الحقيقة
:لو كنت بتحبني مكنتش هتفضل محتفظ بصورتها معاك
عشان مقدرش أنساها
نظرت له بتعجب ليردف
ندى عشت معاها ٥ سنين من عمري مرينا بذكريات حلوة وصعبة كتير
هي جزء مهم في حياتي مقدرش أنساها بسهولة ..... يا ريما أنا .....
: أنت إيه يا خالد؟؟
: أنا بحبك
: بص في عيني وقول إنك بتحبني عشاني مش عشان شبهها
ظل يحاول أن ينظر إليها ويثبت لها عكس ما تتوقع
لكن قلبها وعقلها كانا يحولان دون ذلك لتردف هي
:مش قادر تتصور إنها مش موجودة .....وأنا مقدرش أكون بديل
:أنتي مكبرة الموضوع
:أنت اللي مش عايز تشوف الحقيقة يا دكتور أنت عمرك ما حبيتني أنت
شايف ندى فيا وقت ما تحبني هتنسى ندى
:ريما أرجوكي .....
:أرجوك أنت ابعد عني وسيبني في حالي خلي اللي بنا ذكريات حلوة
جمعتنا سوا
:هتعرفي تبعدي
:أوقات بنبعد مش عشان عايزين نبعد بس عشان مفيش فايدة إننا نفضل
قريبين
:اديني فرصة أثبتلك إني بحبك
:أنت مش عارف حتى تثبت لنفسك إنك بتحبني
نظر لها خالد لثواني يحاول استيعاب ما قالت لينظر لصورة ندى التي بين
يديه بتشتت ثم لريما مرة أخرى
لتردف هي بحزن
:سلام يا خالد

رحل خالد ليس من الغرفة بل من المشفى بأكملها
بعد أن قدم استقالته تحت أنظار المدير المتعجبة من قراره
عاد خالد إلى منزله يجر خيبة أمله
لينظر إلى صورته بالمرآة
ربما مازال القلب يحتاج للكثير من الوقت حتى يتعافى من انكساراته
***
عاما
عاما واحدا فقط كان كفيل أن يغير الكثير
الأشخاص .... الأماكن .... حتى نفوسنا
يقف بتوتر أمام غرفة العمليات
يأخذ الممر ذهابا وإيابا وهو يدعو الله أن تلد زوجته على خير
لتضيف إلى عائلتهما الصغيرة فردا جديدا يملأها سعادة وفرح اشتاقوا إليهما
:يا ابني اهدي مراتك إن شاء الله هتطلع بالسلامة
:يا رب يا بابا يارب
:إن شاء الله يا حبيبي حورية هتقوم بالسلامة
اقترب من والدته وهو يحتضنها
ثواني لتتعالى أصوات بكاء الصغير أرجاء المكان
لتخرج الممرضة وهي تحمله بحذر
:ألف مبروك بنت زي القمر
كان منصور هو أول من حملها وهو ينظر لها وقد أغشت دموع الفرح عيناه
:هتسموها إيه؟
قالتها الممرضة ليجيب سامح ووالده بنفس اللحظة
:عالية
نظرت لهما عالية بحب وقد بدأت الدموع تسيل على وجنتيها وهي تحمل الصغيرة وتقبلها
لتدعو الله بداخلها أن يديم عليهما تلك السعادة
***
بحديقة واسعة مليئة بالحضور وتحت تصفيق الجميع بعد سماعهم المتحدثة الرسمية وهي تعلن
:وهلا بنرحب كلنا بالوجه الإعلامي الجديد لشركتنا نرحب جميعا بتولين الحداد

لتصعد تولين بكل رشاقة
اخترق الاسم أذنيه لينظر بصدمة لتلك التي تصعد الآن على المسرح
يا إلهي إنها هي
عاما ..... عاما كاملا لم تغب عن باله لحظة
لا ليس باله فقط ..... بل لم تغب حتى عن روحه
لقد ازدادت جمالا وإشراقا
نظر لها ونظر لنفسه لتصدر منه ضحكة سخرية على حاله
لقد أصبحت هي أكثر إشراقا ونجاح
أما هو هزيل شاحب أصبح يفرط في الشراب
حتى عمله دائما على المحك
انتهت من كلمتها التي ألقتها على الحاضرين بسعادة كانت على وشك الرحيل
إلا إنها انتبهت بهتاف أحدهم باسمها بلهفة
التفتت للصوت لتتسع عينيها بصدمة
:يزيد!!
يا إلهي مستحيل ..... لقد تغير كثيرا
للوهلة الأولى لم تتعرف عليه
:كيفك تولين؟
:بخير ..... أنت كيفك؟
:مو منيح أبدا
كانت عيناه دليل كافي على صدق جملته
لكن برود صوتها كان أيضا كافي على أنها قد أسقطت فترة زواجهما معا من حساباتها
:ليش شو صار؟
:اشيا كتير صارت بعد ما رحتي..... اشتقت إلك كتير تولين
صمت طويل خيم عليهما حتى هتفت هي بخفوت
:ليش وصلت حالك لها الدرجة؟
:ليش!! ..... سؤال كتير صعب ..... ليش روحتي وتركتيني
:يزيد بترجاك ما بدي احكي بالماضي
:بس تعرفي أنا مبسوط كتير لا إلك
:أنا اتغيرت كتير وقويت ونسيت ها الفترة من حياتي ..... أنت كمان لازم تنساها
:بتصدقي إني حاولت وما قدرت

:راح تقدر أنا واثقة
:صح بقدر ...عندك حق
قالها بنبرة تحمل الكثير من السخرية على حاله
التفت الاثنان لصوت أحدهم
:تولين حبيبتي وين كنتي؟
تبادل ثلاثتهم النظرات بتشتت حتى قطعتها تولين
:شادي هاد اا...
:أنا يزيد رفيق قديم لتولين
:أهلين كيفك وأنا شادي زوجها لتولين
ماذا!!؟
زوجها .... لقد ظنه مجرد صديق أو حتى حبيب
لكن زوجها ...
أحمق يا يزيد ماذا كنت تظن أن تنتظرك وعندما تعود تقابلك بالأحضان
هل كانت تولين تحبك يوما من الأساس؟
أما هي فرغم شعور الشفقة والحزن الذي تشعر بهما الآن على حاله
إلا أن شغور غريب بالنشوة والانتصار ملأ قلبها
ليس من ناحية يزيد .... بل ناحيتها هي
تشعر الآن بالقوة أنها استطاعت أن تتخطى مرحلة مؤلمة من حياتها
أما هو فقد أقسم داخله أنه سيقتلع حبها الذي تفشى بقلبه كالسرطان من جذوره
ودعهم ليختلس هو نظرة أخيرة نحوها تحمل الكثير من الوداع لتقابلها هي بنظرة تحمل الكثير من القوة
وقد كانت على علم تام أنها آخر مرة ستراه بها
***
كانت تراقبها تلك العجوز من بعيد
تقف مختبئة خلف أحد الجدران كان السواد يغطيها من رأسها إلى أخمص قدمها
تراها من بعيد وهي تلعب مع ذلك الصغير
:ريما يا ريما
:أيوه يا ماما
كانت تحمل ريما ذلك الصغير في سعادة
شعور غريب بالعوض اكتسحها منذ أن رأته متروك أمام باب منزلها ومعه ظرف صغير يطلب منها أحدهم أن تعتني بهذا الطفل كابنها

لا تعلم حتى الآن لمن ذلك الطفل لكنها شعرت أن الله يعوضها عن حرمانها من الإنجاب بهذا الطفل.
أصبحت تعتني به أكثر من أي شيء آخر
حتى أنها لا تسمح لأحد أن يقترب منه أو يهتم به غيرها
:كنتي فين كل ده؟
:كنت في الكوافير يا ماما إيه رأيك مش شعري طول شوية
:زي القمر يا حبيبتي يلا هاتي سيف وروحي اقفي مع الناس في المرسم بيسألوا عليكي
:حاضر بس خلي بالك من حبيب ماما الصغير ده
:حاضر بس يلا روحي بقى
اتجهت ريما تقف مع بعض الزوار لتحمل والدتها هذا الصغير سيف كما أطلقت عليه
كانت تتابعهم تلك العجوز من بعيد وهي تتذكر ابنتها كريمة التي ماتت وهي تنجب ذلك الصغير
ليمر أمامها مشهد موت ابنتها ثم حملها لذلك الصغير وهي تتركه أمام منزل ريما
لتعلم بعدها بأيام أن ريما قد أخذت الطفل وتركت المنزل لتنتقل إلى مكان آخر
بحثت عنها كثيرا حتى وجدتها لتعلم بعدها أن اختيارها لريما أن ترعى الطفل كان الصواب
فريما أصبحت ترعى الطفل كابنها
لتأتي هي كل فترة تختلس إليهم بعض النظرات لتطمئن على هذا الصغير ثم ترحل .....كأنها لم تكن
***
يجلس الاثنان سويا بوقت الراحة بعد أن تشاركا معا العيادة
كان يحتسي كلا منهما قهوته
وبعد القليل من الصمت فجر أكرم قنبلته
:خالد
:ها
:خلود
:ها
:أبو الخولد صاحبي
:هببت إيه يا أكرم

:عيب عليك أنا برضه أهبب حاجة قبل ما أقولك ....أنا لسه ههبب
:إيه؟
:أنا قررت أتجوز
:مين اللي أمها داعية عليها
:فرح
:فرح مين؟
:فرح يا خالد
:المريضة اللي عندك؟!
:هي بعينها
:أنت اتجننت دي أصغر منك ب ١٥ سنة
:مش بالسن يا خالد
:لا وحياة أبوك الكلام بتاع العيال ده مش هيليق عليك أنت بتهزر صح
:لا أنا بتكلم جد وأوي كمان
:أنت واعي للي بتقوله أنت هتاخدها تربيها مش تتجوزها
:خالد
:يا أكرم أنت صاحبي وأخويا ولازم أنبهك اللي بتعمله ده غلط و وهتندم عليه..... وبعدين تعالى هنا حبتها امتى
:أنا محبتهاش
:وحياة خالتك
:صدقني دي الحقيقة
:أومال هتتجوزها ليه
:عشان ده اللي المفروض أعمله دلوقتي .... أنا مش هفضل عايش لوحدي
:طول عمري
:دي أنانية
:ده حقي
:ومفكرتش فيها هي لما أنت تكبر هي هتكون عايزة واحد من سنها تعيش حياتها معاه مش تكون ممرضة ليه
:بس هي بتحبني
:وأنت استغليت الحب ده لمصلحتك .... تبقى أنانية
:أنا من حقي يكون ليا بيت وأسرة
:مش على حساب الحد التاني ..... الله يرحمك يا عم حليم لو كان عايش كان ادالك قلمين يفوقوك ويا ترى بقى هتعرف تعيش معاها من غير حب هتقدر تفهمها وتفهم دماغها دي طفلة بالنسبالك

:الحب مش كل حاجة
:هو لمجرد إن قصة حب فشلت زمان عايز تبوظ كل حاجة دلوقتي
:خالد أنا مسمحلكش
:سنة عدت غيرت فيك كتير يا أكرم
:خليتني أفوق من وهم كنت عايشة
:الحب مش وهم
:الحب لعنة
:أنت مش واخد بالك إنك هتعمل مع فرح نفس اللي عملته حورية معاك زمان
نظر له أكرم بعين متسعة وهو يستوعب
ماذا!!.....
لا لا هو ليس بتلك الحقارة .... ولن يكن
أنها أرق وأضعف من أن يحدث بها ذلك
هي رقيقة كقطرة ندى على أوراق زهرة تتفتح صباحا مقبلة على الحياة وضعيفة كورقة شجر بفصل الخريف تحاول جاهدة بكل قوتها الهشة أن تتماسك وتصارع الرياح لتكن النهاية الحتمية هي سقوطها لا محالة
ليفق هو على سؤال خالد المفاجئ
:أكرم أنت حبتها ؟؟..... (ساد الصمت لدقائق) ..... حتى لو لا أنا متأكد إن فرح هتخليك تحبها ..... عن إذنك بقى
:رايح فين
التفت له خالد في صمت .... حتى هتف بشوق
:مشوار كان لازم أعمله من زمان
رحل خالد تحت أنظار أكرم المتعجبة ثم اتجه إلى هاتفه يحادث تلك السمراء التي شغلت تفكيره منذ أن رآها
يعلم جيدا أن خالد محق
لكنها الوحيدة التي أحيت بداخله مشاعر غريبة كان قد تناساها منذ فترة كان لقائهم أول مرة لا يتعدى الثواني شعر بعدها أن قلبه أزهر لمئة عام لدرجة أنه عاد مرة أخرى إلى هوايته المفضلة ليجد نفسه يمسك بقلمه وبعد الأوراق ليبدأ برسم ملامحها الفريدة
***
بالمقابر المكان الأصدق على وجه الأرض
يجلس خالد ولأول مرة أمام قبرها يتذكر بحنين كل ذكرياته معها وهو يحدثها

:عارفة آخر مرة جيت هنا امتى .... وقت الدفن .... مقدرتش أجي بعدها تاني ... دايما كنت بنكر إنك خلاص مشيتي .... كنت دائما أقول هي راحت مشوار وراجعة ... بس مشوار طويل شوية ..... كنت واخد عهد على نفسي إني يوم ما أجي هنا يكون هو اليوم اللي تقبلت فيه الأمر الواقع .... وإنك خلاص سيبتيني ..... وأنا دلوقتي خلاص قبلت بالأمر الواقع ده وجيت عشان أقولك إني هبدأ حياتي من جديد وإني هرجع أحب وأعيش .... لكن عمري ما هنسى الأيام الجميلة من عمرنا اللي عشناها سوا .... هتفضلي ذكرى حلوة جوايا ..... أنتي أكيد عارفة إن ربنا أخدلك حقك طارق بقى عايش على كرسي متحرك ..... صحيح مراته وبنته رجعوا ويمكن دي الحاجة الوحيدة اللي مهونة عليه اللي هو فيه ..... هجيلك تاني والمرة اللي جايه هيبقى معايا حد عايز أعرفك عليه....

قام من مجلسه ثم نفض عنه بعض الأتربة

واتجه ليبدأ حياة جديدة

لن ينسى ندى وكيف ينساها وبعضهم لا يرحل أبدا يبقى أثره في القلب لا يطويه النسيان

خرج من المقابر متجها إلى ذلك المرسم مرت سنة لم يمر بها من هنا قط حتى بعد أن نقلت محل إقامتها هي وعائلتها و بعد أن انتهت فترة علاجها لم يفكر أن يعرف عنها أي شيء

كان قد قرر البعد ليعرف حقيقة مشاعره

لكن الحقيقة أنها لم تغب عن باله ولو للحظة واحدة

اتجه للداخل ليقع عينه عليها أول شخص

لقد طال شعرها قليلا وامتلأت بعض الشيء

اقترب منها وهي تمرح مع هذا الطفل ليهتف باسمها

:ريما

التفتت لتتسع عينيها بدهشة

هل هو حقا هنا !!

:خالد!!

هتفت بها بشوق

سنة كاملة.... حاولت بها أن تتعرف على حقيقة مشاعرها نحوه

ظنت أن مجرد بعدها عنه أو حتى نقل محل إقامتها ستتخلص من كل ذكرياتها معه ..... لكن قلبها الخائن رفض النسيان ليغلق أبوابه على تلك الذكريات الغالية

:أصلك نسيتى حاجة معايا جيت أديهالك

مد لها يده بتلك الكوفية الزرقاء القصيرة
والتي كانت رابط لأول تعارف بينهم.... واليوم سبب عودتهما
كم أصبح لتلك الكوفية مكانة غالية عند كليهما
:جاي ليه يا خالد
:قولتيلي قبل كده إن أوقات بنبعد عشان مفيش فايدة إننا نفضل قريبين ...
وأنتي بعدتي سنة كاملة ياريما بس أنا مقدرتش فيهم أنساكي يوم واحد ....
أنتي سكنتي روحي يا ريما
نظرت له بحب وقد أغشى الدمع عينيها
لتهتف بلوعة
:ولا أنا نسيتك
:شعرك طول
تحسست أطراف شعرها لتبتسم
:هههههه .... شوية
:طب إيه
:إيه
: نبدأ من جديد
:سوا
:لحد آخر العمر
ليستمع الاثنان لصوت لحن مميز يعلو بالمكان
نظر الاثنان خلفهما ليجدوا عابد يجلس على مقعد البيانو وهو يعزف وعلى
مقربة منه تقف إحداهن وهي تنظر له بإعجاب
مد خالد يده لريما ليتشارك معها الرقص على تلك الألحان
لينظر لهم جميع من بالمكان بإعجاب وهما يرقصان ببراعة
ليملأ المكان تلك الألحان التي لم تكن سوى لجارة القمر

شو كانت حلوة الليالي
والهوى يبقى ناطرنا
وتجي تلاقيني وياخذنا بعيد
هدير المي والليل
***

لكل قمر حكاية ..... والحكاية لم تنتهي بعد

تمت بحمد الله

٢٠٢٢/١٢/٨